

العدد
١٠٩
سبتمبر
١٩٩٤

أكاديمية وَجْه

مجلة الثقافة الوطنية الديمتراتية



مصطفى زيد وار:

علم النفس وعلم الوطن

(مصطفى صفوان / سامي على / أحمد فائق / فرج عبد القادر طه)

عبد الله النديم: المحرّض الثوري، مختارات من «التنكيت والتبكيت» [سولجنستين: أعمدة الدخان وأعمدة الحقيقة حكمت فهمي وأنور السادات]

مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي



www.lisanarb.com



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanearb.com J. 443-6

أَدْبُورٌ

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية/
شهرية يصدرها حزب التجمع
الوطني الـ ١٩٩٤ دوى/ سبتمبر

رئيس مجلس الإدارة: لطفي واكد
رئيس التحرير: فريدة النقاش
مدير التحرير: حلمي سالم
سكرتير التحرير: مجدى حسين

مجلس التحرير: إبراهيم أصلان / صلاح السروى / كمال رمزي / ماجد يوسف

المستشارون: د. الطاهر مكي / د. أمينة
رشيد / صلاح عيسى / د. عبد العظيم
أنيس / د. لطيفة الزيات / ملك عبدالعزيز
شارك في هيئة المستشارين الراحل
الكبير: د. عبد المحسن طه بدر
شارك في مجلس التحرير
الراحل الكبير: محمد روميش

أدب ونقد

التصميم الأساسي للغلاف: محيى الدين اللباد

الرسوم الداخلية للفنان: محمود الهندي
بورتريه الغلاف للفنان: جودة خليفة

أعمال التوضيب الفنى: سهام العقاد
أعمال الصف:

عزة عز الدين/نعمـة محمد على/منى عبد الراـضى

المراسلات: مجلة أدب ونقد/ ٢٣ شارع عبد
الخالق ثروت «الأهلى» القاهرة/
٢٩٢٢٣٦

الأعمال الواردة إلى المجلة لأترد لاصحابها
سواء نشرت أم لم تنشر

المحتويات

- فجأة...حسين حمودة	٨٣	* أول الكتابة...المحررة	٤
- ثلاثة قصائد...ليلي الشربيني	٨٤	ملف مصطفى زبور	
- الدنيا مليانة أستاذة		- جدل السيد والعبد.....د.مصطفى	
كيميا...يسرى حسان	٨٦	زبور	١٠
- تحبيتان إلى مصطفى زبور:			
* العودة إلى العنفي كأدب ثوري....		(١) المعلم (٢) نبذة حول الآب	
جريدة النقاش	٨٨	المثالى....د.مصطفى صفوان	٢٢
- عقل عالم وقلب إنسان...د.فرج			
عبد القادر طه			
- زبور .. ذكريات لاتفاوض...			
د.أحمد فائق			
- المتخيّل في خبرة الحشيش في			
مصر....د.سامي على			
٤٧			
<u>الديوان الصغير</u>			
- مختارات من التنكّيت والتبكّيت			
لعبد الله النديم.....إعداد وتقديم:			
صلاح عيسى	٩٧		
<u>المياد الثقافية</u>			
- الكسندر سولجيتنتسين: أعمدة		* خطاب الحرية.....د.نصر حامد	
الدخان والحقيقة...أحمد الخميسي ..	١١٤	أبو زيد.....	
- حوار مع الناقد التونسي محمد			
بن حمودة...د.مجدى عبد الحافظ...١٢٦			
- حكمت وأنور وحب الوطن...نورا			
أمين	١٣١		
- دفاتر العامية لسمير عبد			
الباقي:...أشرف أبو جليل.....١٣٥			
- التكفين وبعثع الكفر... (رأى)			
صلاح الدين محسن	١٤٠		
<u>نصوص</u>			
قصص:			
- طوازى...رانيا خلف	٦٨	- موت الأحلام الصغيرة.....عبد	
- السلام الجرایة	٧٣	السلام الجرایة	
- أشياء لاشترى...وجيه عبد			
الهادى	٧٥		
- القفل...مجدى حسنين	٧٨		
شعر:			
- كلام مثقفين...صلاح عيسى ..-	١٤٤	- لاول مرة...شهلا الكيالي	٨١

أول الكتابة

بعد احتلال الانجليز للاسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ وفى سياق خطتهم لاحتلال مصر كلها انتقل الخديوى توفيق وحاشيته وع麻将ه وحكومته برئاسة سلطان باشا للإقامة فى قصر رأس التين فى المدينة المحتلة ليسبغ عليهم الأسطول الإنجليزى حمايته، ويبرق الخديوى لعربى الذى كان قد فرض عليه مطالب الجيش والشعب فى المواجهة الحاسمة بيتهما قبل ذلك ليخبرهـ هو وزير الحربـ أنه ليس للدولة الانجليزية مع الحكومة الخديوى فى الاسكندرية المحتلة، وطلب من وزارة الداخلية أن تعدل لعقد الجمعية عامة من رؤساء الأديان، ووكلاء الوزارات والعلماء والذواب والأعيان

«إذا كانت لاتكفيك شهادة ثلاثمائة ألف من الرجال والنساء والصبيان خرجوا من ذلك الشفر مهاجرين لا يملكون إلا أنفسهم هائمين على وجوههم في البلدان والقرى لا يلوي الوالد منهم على ولده، ولا الاخ على أخيه فما الذي يكفيك...»

والتاجر للنظر في موقف الخديوى وما يجب اتخاذه لمواجهة الغزو الأجنبى وهى الجمعية التى أصدرت فيما بعد قراراً بإدانة الخديوى الذى خان وطنه وانضم لأمداداته وكلفت عربى بالدقاع عن مصر.

يسوق هذا المقطع الطويل من رواية «أبو النجا» التى تسجل لوقائع التاريخ فى بعض جوانبها لأنتم بعدها إضافياً للديوان الصغير الذى اخترباه لكم هذا العدد من كتابات «عبد الله النديم» فى ذكرى الثورة العرابية. فقد كان كل من نديم وعلى مبارك مثقفين كبيرين فى ذلك العصر اختار أحدهما وهو على مبارك أن يكون رجل السلطات حتى لو كانت سلطات الاحتلال، واختار النديم أن يقف فى صفوف الشعب «من أجل الحياة الحرة الكريمة له ولمصر كلها». وقبل عام احتفلت وزارة الثقافة بالنموذج الأول للمثقف وهو «على مبارك» متجاهلة هذا المثقف الآخر النقيض له.. المثقف الثورى فى زمانه الذى دافع عن مصر متحركة من القهر والاستغلال والنفوذ الأجنبى.. ولنتناول مرة أخرى أن يكون مابلغنا زوراً وبهتان؟ إن قضية الصراع بين هذين النموذجين من المثقفين ماتزال قائمة وحية فى زمننا هذا وبشروطه فى ظل سلطة فتحت كل الأبواب والنوافذ يقول الرواوى أبو المعاطى أبو التجافى «العودة إلى المنفى»: «كانت تلك أول حكومة شعبية تحكم مصر، وأعتقد نديم أن هذه الحكومة التى انبثقت فى أحلق الظروف، هي أولى تعبير حقيقى عن شعب مصر، وأولى الثمرات الطيبة لعدوان مرير.. كان العدوان يكشف النقاب عن وجهه الخيانة. وفي أول اجتماع لهذه الجمعية اكتشف نديم أن الخيانة لاتعجز عن إخفاء وجهها باى نقاب. لقد وقف مسئول اسمه «على باشا مبارك» يكن له نديم أعظم تقدير ليطالب الجمعية بأن تبعث بوفد إلى الخديوى فى الإسكندرية لاستجلاء الحقيقة، فمن أين لنا ونحن فى القاهرة أن نعرفحقيقة ماحدث فى الإسكندرية؟ أليس من الشرسورى أن تحكم عقولنا؟ أليس من الجائز أن يكون مابلغنا زوراً وبهتان؟ وقطعاً نديم أمام الجمع الحاشد بعنف لم يصدر عن مثله فى حياته كلها. فطول حياته لم يوجد مثل هذا الاحتقار للعقل باسم العقل:

التحليل النفسي الذي أصيّت الآن في كندا «ألا أسكن للاعتقاد دون أن أجاذل فيه غيري، فإن لم يكن فلأجادل فيه نفسي...».

أما المقالة التي اختارها لنا الدكتور حسين عبد القادر أحد تلاميذ زبور المخلصين والذي أعد لنا هذا الملف الثمين فهو عن نفسية العدو الصهيوني إذ يتساءل زبور «كيف استحال اليهودي الخانع تاريخياً إلى طاغية؟»

ويشرح ببساطة طريقة وأعمقها في أن واحد هذه الحيلة النفسية المعرفة في العلم عن كيفية توحد الشخصية مع المعتمدي، وهو ما يضيّن لنا - من زاوية جديدة على التحليل السياسي - الاقتضائي المتكامل لجريمة اغتصاب فلسطين وكيف أصبح الصهاينة لصيقين بالاستعمار البريطاني ثم الأمريكي بعد ذلك حين انحسر نفوذ إنجلترا، فإلى جانب أن إسرائيل أداة امبريالية كان توحدها سيكولوجيا وعملياً مع المعتمدي على صعيد العالم كله.

وكان من دواعي سعادتنا وفخرنا أن يختار تلاميذ الدكتور «زبور» مجلتنا لينشروا فيها عن الاستاذ، وتتفتح المجلة مفاجاتها. لأول مرة لعدد من الأساتذة البارزين الأصلاء من مصطفى صفوان نسامي على وfrage عبد القادر

للوجود الأجنبي الأميركي الذي يتحكم في مقدراتنا.. علينا نحن الذين نتعلّم لوطن آخر ومستقبل أفضل أن نحيي رموزنا ونسلط الضوء عليها بكل ما يتوفر لنا من امكانيات ولو ضئيلة حتى تتعرّف الأجيال الجديدة على التاريخ المعاصر والكيفية التي صنعها بها الشعب وقادته من المثقفين والثوار، علينا أن نعد العدة لإقامة احتفال كبير ونبوّذجي في أكتوبر ١٩٩٦، أي في الذكرى المئوية لرحيل عبد الله النديم أحد أبناء هذا الشعب المخلصين الموهوبين.

أما الملف الآخر في هذا العدد فهو عن الدكتور «مصطفى زبور» مؤسس التحليل النفسي والاستاذ الذي درب وربى مئات التلاميذ الذين «لوكثروا بأرض مصر لتكونت منهم مدرسة لاتقل خصوبة وابتكاراً عن مثيلاتها في أي بلد آخر، ولكن العوائق التي اجتاحت بلادنا بما ترتب عليها من القطيعة بيننا وبين كل نتاج فكري يعتد به في الخارج فاقت احتمالنا جمِيعاً». إلا

الدكتور مصطفى زبور فقد صمد وحده لها.. كما يقول عنه تلميذه مصطفى صفوان الذي يضيف «لقد عرفت الدكتور زبور في البدء مثالاً نادراً للمعلم، وإنني لأحيى فيه الآن مثالاً منقطع النظير للوفاء للوطن..»

وتعلم منه د.أحمد فائق طبيب

ولكن لأنه صاحب رأى...» طه وأحمد فائق وغيرهم من سيضمهم الجزء الثاني من الملف في العدد ويواصل الدكتور نصر أبو زيد في خطاب الحرية مناقشته لقضية اللغة والثقافة والمعنى الثقافي مبيناً كيف أنَّ البعد الثقافي هو الذي يميز الوجود الإنساني ويفصله عن الوجود الطبيعي الحيواني مثلاً.. فالثقافة تعنى تحول الكائن من مجرد الوجود الطبيعي إلى الوعي بهذا الوجود».

وفي هذا الحيز الصغير يستخدم أبو زيد منهجه وبراهينه لتعريف الجهل الفاضح الشائع وهو يلوذ بالوعاظ والخطابة واتهام الآخرين في مناخ مشحون.. ولا يكون أمامنا مخرج جدي إلا بالوعي العلمي والمعرفة النزيهة التي هي أول الطريق إلى التحرر بدءاً بالجدل واحترام العقل والعلم..

عدتنا هذا هو مرة أخرى دفاع مجید عن الحرية من زوايا عدة.. من الحرية العقلية لحرية الوطن الذي دفع وما زال يدفع ثمنها غالياً..

قائِي حرية تلك التي ستنظل تدفع ثمنها في ظل «الطوارئ» التي تقدم لنا «رأينا خلاف» القصاصة المبدعة صورة تهكمية لها وهي تنشر على صفحاتنا لأول مرة؟..

وبعد..

هذا هو العدد الأول الذي نصفه على ألات الجمع الجديدة في «الأهالى» بعد أربع سنوات متصلة كنا نجمع فيها في

بداية للتعاون مثير طويل فالوشائج بين الأدب وعلم النفس عميقه وممتدة ومن المؤكد أن إضاءتها من زوايا جديدة سوف تبعث في نفوس قرائنا إلى جانب ماتقدمه من معرفة بهجة ومتعة عميقتين. لعلنا نجد في مقالة مصطفى صفوان- الصعبية الممتعة عن الآب المثالى- نموذجاً فريداً لهذه البهجة والممتعة إلى جانب المعرفة حول وظائف وبنية هذا الآب وعلاقته بصورة الأم والطفولة.

ويخصمنا الصديق الكاتب أحمد الخميسي برسالة من موسكو عن عودة سولجينستين صاحب «جناح السرطان» و«أرخبيل الكولاج» إلى وطنه الذي تعرض للنفي منه وإسقاط الجنسية عنه في زمن التسلط البيروقراطي وضيق الأفق باسم الاشتراكية التي هي بريئة من كل هذا- يبيّن لنا الخميسي كيف كان الأدب الروسي قد رسم لدى شعبه أن الأديب «نبي من الأنبياء ومعلم» وهو يستعرض نماذج من القمع الذي وقع على الكتاب الروس في عصور مختلفة لأنهم دافعوا عن الحرية، ونحن نتفق تماماً مع الخميسي «أن الرواوى الكبير جدير بالتقدير ليس لأنه يوافقنا في الرأى»



«اليسار» حيث قام تعاون حميم ليلاً والعمل في الأعياد لإنجاز ما كان قد تأخر من الجمع والتصحيف... فهل يكفي أن نقدم الشكر الجزيل والامتنان العقيق لهذه الكتبة الفريدة التي شكلت لنا عائلة متربطة وودودة ومحبة ومتاحالية على الصغيرة، ليبقى ذلك كله إلى الأبد.

ومنطقة حقيقة مع كل من «حسين عبد الرزاق» و«صفاء سعيد» و«صلاح عابدين» و«نسرين سعيد»، و«مصطفى عبادة»، و«محمد بدوى» وقبل فترة: نعمة محمد على. وطيلة هذه السنوات كانت «اليسار» بيتنا الذى تحمل العاملون فيه تبعه مشكلات ليست قليلة وكانت من صنعتنا، من التغيير فى اللحظة الأخيرة.. لتأخير المواد، للسهر

المحررة

ماف



مصطفى زيوار:

علم النفس وعلم الوطن

جدل السيد والعبد: د. مصطفى زيوار
تحياتان إلى زيوار: المعلم - نبذة حول الأب المثالى:
د. مصطفى صفوان

عقل عالم وقلب إنسان: د. فرج عبد القادر طه
ذكريات لافتيفي: د. أحمد فائق
المتخيل في خبرة الحشيش في مصر: د. سامي على

إعداد:

د. حسين عبد القادر

أستاذ علم النفس بآداب المنصورة

أضواء على المجتمع الإسرائيلي:

جدل السيد والعبد

(دراسة في التحليل النفسي)

مصطففي زبور

مباشرة، تتلوه عودة إلى نظرة أكثر شمولًا.

ثمة سؤال يطرح نفسه، ومع ذلك يبدو أنها لانتبيه. ولعل السبب أن الوضوح الساطع يناظر أحياناً الغموض المظلم من حيث تضييق آفاق الأبعاد. هذا إلى أن الشدة التي تفيف بها النفس لاتترك فضلاً من الانتباه إلى ما عدتها. وأى شدة أعظم من شدة مواجهة مع مدو يريد لنفسه كياناً شرطه لا تكون، أو على الأصح يريد أن يكون سيداً على نحو يعيده إلى الذهن ما أبرزه «هيجل» في جدل السيد والعبد، بحيث تكون وظيفتك أن تكون له عبداً للموضوع في جملته، ولكن هذا المدخل يتتيح لي أن أنفذ إلى قلب الموضوع تزجي إليه ليلاً ونهاراً امترافاً يمنجه

هذا المقال خلاصة لبحث ألقى في الدورة الأخيرة للجمعية المصرية للدراسات النفسية. وقد رغب إلى بعض الزملاء، وخاصة من الأقطار الشقيقة، في نشره مبسطاً مع استبعاد المفاهيم والاصطلاحات الفنية، حتى يكون في متناول أكبر عدد من القراء، وذلك لصلة موضوعه بالإحداث الراهنة وبخاصة مسألتي «الحرب النفسية»، و«الروح المعنوية». وهو يعد مساهمة أقدمها للعواطفين العرب في كل مكان.

وسأأخذ مدخلاً قد يبدو للقارئ لاول وهلةـ أنه جانبـيـ لا يتصدى للموضوع في جملته، ولكن هذا المدخل تزجي إليه ليلاً ونهاراً امترافاً يمنجه

شرعية الوجود- اعترافاً بدونه يرتد مالبشت أن اتخذت المواطنون إلى شعور مقيم بافتقاره إلى هذه العرب بقسطنطين هدفاً لها، الشرعية نفسها، وكانه -أصلاً- مسافر فكانت مذبحة، «دير ياسين» بغير جواز سفر في رحلة الحياة، ولكن لم اختارك أنت بالذات لتفرغ إلى هذه المهمة بالذات، والجواب أرجوه إلى قاسم» وغيرها. وفي خطوة تالية تجمع العصابات في شكل جيش حين.

والأآن، فإن السؤال الذي يطرح نفسه، أصيغ على النحو الآتي: **كيف استطاع «اليهودي الثالث»** هجوم الجيوش العربية سنة ١٩٤٨؟

وأنعود فاتسأله مرة أخرى: **كيف استحال الخانع طاغية؟ كيف انقلب الرعديد الجبان -على مدى قرون- سفاحاً، ثم جندياً مقاتلاً؟**

وغمى عن البيان أننى أطرح هذا السؤال في نطاق علم النفس وحده، أى أننى أبحث عن الدافع النفسية وراء هذه المظاهر وهذا لايعنى أننى لا أقيم وزناً للمعوامل غير النفسية (السياسية- الاقتصادية- الإمبريالية) التي ساهمت في انبثاق هذه الظاهرة كما بينها الدكتور إسماعيل صبرى فى كتابه الممتاز: «في مواجهة إسرائيل».

ولايستطيع أى باحث- فضلاً عن ذلك- أن يتتجاهل الأهداف ذات التاريخ الطويل، والتى برزت فى شكل سياسى محدود فى أول الأمر، ثم يتخذ شكل عصابات متحفزة جريئة تنزل بجنود دولة الانتداب على لها زعماؤها، وانعقدت من أجلها فلسطين هربات متلاحقة عنيفة، مؤتمرات أسفرت عن مشروعات محددة

الذى كان يستجيب طوال قرون عديدة إلى الاضطهاد والهجوم عليه وتحقيقه، إما بموقف ذليل خانع يتسم «بالمازوخية»- أى أن بطبيب العزم نفساً بالعذاب والمهانة ويسمع لشعورياً في طلبهما -أو يستجيب بالرحيل والهجرة إلى مكان آخر يتصوره أقل المأ وارحب مدرأً.. كيف يمكن له بعد تاريخ طويل حافل بالاستكانة والامتناع عن مجرد المقاومة فينعزل متخدأً منازل على هامش المجتمع يقال لها «الجيتو» -كيف، ولم، تم له أن يجتمع بامثاله في مshed كبير يتجر نشاطاً عدوانياً على نطاق محدود في أول الأمر، ثم يتخذ شكل عصابات متحفزة جريئة تنزل بجنود دولة الانتداب على لها زعماؤها، وانعقدت من أجلها فلسطين هربات متلاحقة عنيفة، مؤتمرات أسفرت عن مشروعات محددة

أو تكاد، وجهود تبذل على النطاق

التوحد بالمعتدى

ولنستفسر التاريخ أولًا: متى حدث ذلك؟.. لقد حدث ذلك على وجه التحديد في أعقاب الحرب العالمية الثانية، أي في السنوات ١٩٤٨، ٤٧، ٤٦. إن خبرة المحلل النفسي تدعوه إلى أن يتساءل: وما الذي حدث في السنوات السابقة عليها مباشرة، مما يتصل بتغيير عميق في البناء النفسي؟.. هنا تواجه أحداثاً رهيبةً ومحويةً معاً. حدث أن فتك النازيون ببضعة ملايين من اليهود في المعطلات المشهورة: «أوشفتز»، «بوخنفالد» وغيرها.

ولما كان المقام لايسمح بعرض مذهب لقضايا التحليل النفسي وما تلقبه من أضواء على هذه المسألة، فساقتصر على بعض القضايا المقطوع بها. إن تفسير أي سلوكـ سليمًا كان أو مريضًاـ إنما يرتد إلى نمط علاقة الفرد بالآخرين، أي نمط بناء الشخصية، وهذا يرتد في نهاية الأمر إلى ما نطلق عليه «هوية الذات» أو «هوية الأنـا». ومن الثابت أن هوية الذات إنما هي نتاج عمليات «التوحد» بالآخرين والتي تبدأ منذ الشهور الأولى من الحياة، تلك العمليات التي تعتبرها المحور الأساسي في ميدان النفس باسره، هذا المحور هو محور الأنـاـ أنت «فبنـاـ الأنـا النفـسي توضع لـبنـاـتـ الأولى على

العالـمـي نجـحتـ في اـنتـزـاعـ وـعـدـ بـلـفـورـ أثناءـ الحـربـ العـالـمـيـ الأولـيـ، كـمـاـ نـجـحتـ فيـ الحصولـ عـلـىـ غيرـ ذـلـكـ منـ المسـانـدـاتـ الرـسـمـيـةـ المـعـلـنةـ، وأـحيـاناـ غيرـ المـعـلـنةـ.

هذه الحركة الصهيونية كانت بلوحة لامال بغض اليهود في استعادة عرض أورشليم، الذي ظل حائط المبكى كبيان يرمـزـ إـلـيـهـ عـلـىـ مـرـعـورـ، وـإـلـىـ أـمـلـ فيـ عـودـةـ بـعـدـ تـشـرـيدـ. هذا كله لاـشـكـ فيهـ، ولكنـ يـظـلـ السـؤـالـ بـعـدـ ذـلـكـ: لمـ استـطـاعـ اليـهـودـ أـنـ يـحـقـقـواـ فـيـ هـذـهـ الحـقـبةـ بـالـذـاتـ أـمـلـ طـالـ حـتـىـ كـادـ أـنـ يـكونـ سـرـابـاـ؟ـ هذاـ إـلـىـ أـنـ يـنـبـغـىـ أـنـ نـفـطـنـ إـلـىـ أـنـ روـافـدـ العـوـاـمـ السـيـاسـيـةـ الـاقـتصـاديـةـ الـإـمـبـرـيـالـيـةـ، إـنـماـ تـنـصـبـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـأـمـرـ فـيـ إـلـنـسـانـ، أـنـهاـ مـرـهـونـةـ مـنـ حـيـثـ تـحـقـيقـ أـهـدافـهاـ بـالـعـاـمـلـ إـلـيـانـيـ، أـعـنـيـ التـفـسـرـ. إنـناـ لـأـنـقلـلـ إـذـنـ مـنـ قـيـمةـ العـوـاـمـ غـيـرـ النـفـسـيـةـ وـلـكـنـناـ نـقـرـرـ أـنـ بـدـونـ تـهـيـئـ عـوـاـمـ نـفـسـيـةـ مـنـاسـيـةـ، فـيـنـ العـوـاـمـ الـآخـرـىـ تـفـقـدـ فـعـالـيـتـهاـ، وـتـكـفـنـ الإـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ وـعـدـ بـلـفـورـ لـمـ يـتـحـقـقـ إـلـاـ بـعـدـ مـرـورـ ثـلـاثـينـ عـامـاـ.

ولـذـلـكـ فـيـنـ هـدـفـيـ هـوـ التـفـسـيرـ النـفـسـيـ لـلـسـؤـالـ الـذـيـ سـبـقـ طـرـحـهـ: كـيـفـ أـمـكـنـ أـنـ يـنـقـلـ الرـعـدـيـ الـجـبـانـ سـفـاحـاـ، شـمـ جـنـدـيـاـ مـقـاتـلـاـ، بـيـنـ عـشـيـةـ وـضـحاـهـاـ؟ـ

إلى الطبيب أن الولد عندما يلام أو ينهر، يسلك سلوكاً شاذًا، إذ كانت عضلات وجهه تتقلص تقلصات تستثير ضحك تلاميذ الفصل. وكان رأى المدرس أن الولد إما أنه كان يسخر منه، أو أن هذه التقلصات من فتنة مانعه لدى بعض مرضى النفس من حرقة قهقرية في عضلات الوجه. وأثناء شرح المدرس للحالة جعلت عضلات وجه الولد -الذى كان يشهد الاستشارة- تتقلص فتختذ أشكالاً نابية مضحكة.

وبناء على ماتقدم، نطرح
سؤالنا على النحو الآتي: كيف
تحول طابع «هوية الآنا» اليهودي
من الاستكانة إلى العنف
العدواني الفتاك؟، لايمكن أن
يتم ذلك- كما تؤكد مكتشفات
التحليل النفسي- إلا عن طريق
عملية توحد جديدة، هي- فيما
يختص بهوية اليهودي في
الحقبة اللاحقة للحرب العالمية
الثانية- مانطلق عليه عملية
«التوحد بالمعتدي».

وإلى القارئ أسوق حالة توضّع في اختصار مانعنه بالتوحد المعتمد. استشير محلل نفسى فى أمر صبي تلميذ بمدرسة ابتدائية، لأنه يقوم بتعبيرات فى وجهه تشير الاستفراط لا يقوى على منها، ولم تفلح محاولات مدرسه فى قمعها، وقد أنهى مدرسة أرمى إليه من عرض حيلة التوحد الشعورية تصطنع للتغلب على الخوف من المعتمد، وهى حيلة شائعة يكتشفها التحليل النفسي فى أحوال كثيرة، من بينها بعض حالات الكبار أثناء العلاج. ولابد أن القارئ قد فطن إلى ما أرمى إليه من عرض حيلة التوحد

بتوجس مرض «البارانويا» (توم الأضطراب لدى مرضى العقل) - وخاصة عندما كانت تطلق لهم الحرية وهم مجتمعون في التعبير عن عدوانيتهم التي كانت تصل إلى درجة الاندفاعات العدوانية المتوجشة» ويمضي منكوفسكي فيقول: «قد يكون الأمر انخفاضاً في المستوى الأخلاقي. ولكن يجب الحذر في استخدام الالفاظ»، ثم ينتهي بقوله: «على كل حال، فإن المستقبل لا يبدو بالضرورة ميؤوساً منه. فقد استطاع الكثير من أطفال بوخنفالد أن يستعيدوا بعض الاتزان، وخاصة في إسرائيل».

أما استعادة «الاتزان» - أي اختفاء الأعراض البارانوية الفصامية - فلا يمكن أن تخطئ عين المحلل النفسي طبيعته ولا التفاعلات الدينامية النفسية، والتتعديل في توزيع الطاقات التي كانت شحذاتها مكونات الأمراض المرضية. إن «الاتزان» الذي تحدث عنه منكوفسكي لا يعود أن يكون «تنظيمًا للتوحد بالمعتدى في المجتمع الإسرائيلي في مواجهة العرب، أي أن التوحد بالمعتدى أصبح شيئاً مشروعاً بل مطلوباً مستحسناً لدى المواطن الإسرائيلي، فناتيحة لهذا التوحد أن يستقر لايعرضه ما يعرضه عادة من الصراع النفسي في ظروف مختلفة لم تضف عليه صفة الشرعية. وهو بعد بالمعتدى، ذلك أنه لايخامرنا أى شك أن الصبية اليهود ومن كان منهم في أول شبابهم، الذين قبض عليهم مع آبائهم في كل أنحاء أوروبا وأردووا المعقلات النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أخرج عنهم على قيد الحياة بعد هزيمة النازى- لايخامرنا أى شك في أنهم توحدوا بجلاديهم أعنى بالنازيين. ولا يختلف في ذلك اثنان من المحللين النفسيين..

إلى القارئ مايقوله الطبيب النفسي اليهودي «منكوفسكي» - وهو ذو شهرة عالمية- في كتابه الأخير «مبحث في علم النفس المرضي» ص ٢٨٥، حيث يتحدث عن أطفال معنقول «بوخنفالد» وذلك بقصد مناقشة لمشكلة الاضطرابات الوجدانية المرضية: «إن التخدير الوجداني (أى انعدام الاستجابة العاطفية لدى بعض مرضى العقل) ليس إلا علامة من علامات أخرى للتدهور النفسي، وخاصة لدى الشباب، بعد بقائهم فترة طويلة في معسكرات الاعتقال وهم في حكم اللعب، مما جعلهم يجهلون معنى اللعب. مثلاً فإن «أطفال بوخنفالد» الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانى سنوات وعشرين سنة واحتضنهم الفرنسيون بعد إطلاق سراحهم، ظهر لديهم نقص في المسocial الاجتماعي والحس الأخلاقي، أعلن عنه بنوع من الحذر المتوجس وثيق الشبه

يمكن المواطن الإسرائيلي من الظهور واحداً) قبل البدء بالعدوان. وتعلم من الدراسات التحليلية النفسية أن الجيش تجمع يرتبط فيه أفراده بعضهم ببعض ارتباطاً يستند أساساً إلى التوحد بالقائد (وهو في هذه الحالة صورة مزدوجة: ديان يرمي إلى العسكرية النازية، وبيجين يرمي إلى استباحة الفتاك الوحشى)، وإن هذا التوحد بالقائد يتلخص في إسناد كل وظائف «الآنا الأعلى» (الضمير اللاشعوري الذي يقوم بالضبط والربط داخل النفس) إلى القائد الذي عن طريقه يتم توحد «الآنا الفردي» لدى كل فرد بغيره من الأفراد.

على خوفه من العرب، بل يجعله يستشعر في نفسه الرغبة «المشروعة» في الانقضاض عليهم، فيقتلك بهم في مذابح دير ياسين وغيرها على نط نازى بالمعنى النفسي الذي بيتاه، لا على سبيل التشبيه أو الاستعارة البلاغية كما قد يبدو فيما نقرأ في المصحف. ولعل شخصية السفاح «مناخ بيجين» الذي كان يتزعم عصابات «أرجون زفاى لومى» التي اشتهرت بالقتل بسكان القرى بما فيها من نساء وأطفال، أبرز نموذج في التوحد بالمعتدى من القتلة النازيين.

ولعل شخصية «موشى ديان» تمثل التقمص للعسكرية النازية أحسن تمثيل، بما فيها من صلف وخيانة وعدوان ذى طابع بارانوى. وجدير بالذكر أن هاتين الشخصيتين «ديان» و«مناخ بيجين»، ضما إلى أعضاء الوزارة الإسرائيلية قبيل الهجوم الإسرائيلي في ٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧.... نحو يومين أو ثلاثة قبل الهجوم). وهذا الانضمام الرسمى، الذى تم نتيجة انقلاب عسكري صامت كما قبل، إنما هو دليل قوى على حاجة الجيش الإسرائيلي بخاصة، والشعب الإسرائيلي بعامة، إلى شخصيتين قياديتين يتوحد بهما الأفراد من الشعب والجيش (وهما يكادان أن يكونا شيئاً

المسرحية المأساوية

وعلى الآن أن أجلو مسألة هامة: ذلك التوحد بالمعتدى ليس أمراً قاصراً على أطفال بوختفالد وغيرهم من خريجي المعتقلات النازية الأخرى، والذين حدثنا منكوفسكي عنهم فقال إنهم: «استعادوا اتزانهم» في إسرائيل، بل قد يتم التوحد بالمعتدى عن طريق العدوى، وبعبارة سيكولوجية دقيقة: قد يتم التوحد بالمعتدى عن طريق «التعاطف اللاشعوري» بالمعنى التحليلي النفسي، أى على نحو مانتقمص -تعاطفاً- شخصيات أبطال مسرحية مأسوية، فتنتفع انتفالاتهم،

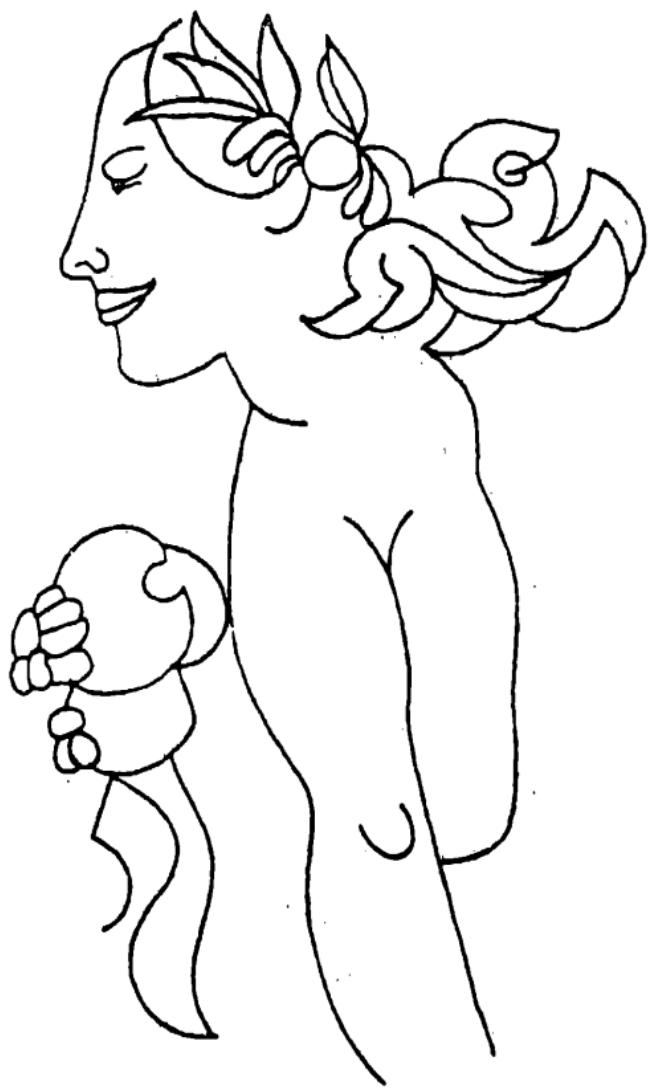
ويعيش مانراهم يعيشونه. بل قد يحدث هذا التقمص ونحن نقرأ قصة. فما بالك إذا كان أفراد القصة تربطنا بهم رابطة مهما كان أمرها: الدين اليهودي مثلاً، وثمة من الشواهد ما يدل على أن اليهود في جميع أقطار العالم، من لم يمسهم ضرر من قبل الجستابو، قد تبدل حالهم حتى كادت قصة «اليهودي الثالث» وشخصيته تدخل في سجل التاريخ القديم، فما أعجب أن ينقلت اليهودي الثالث من قفص المتهمن ويعتلى منصة الاتهام، ليس فقط إزاء الشعب الألماني، وإنما إزاء شعوب العالم بأسرها، فسمعنا دوى عبارة «عقدة الذنب»: ذنب عداء السامية.

على أن ما يهمنا من هذا الذي يبدو استطراداً، مسألة هامة أشرت إليها في صدر هذا المقال. ذلك أن اليهودي الثالث كان يفتقر إلى هوية مستقرة، كان يفتقر إلى شرعية الوجود. وها هو يبتزها على نحو غير متوقع، يقصص عنه بولاته لإسرائيل قبل ولاده للبلد الذي يستوطن، وكسب فيه جنسية ومعاشاً.

إن الولاء لإسرائيل يعني بالضرورة توحداً بالمتوحدين بالممعتدى، ومن باب أولى، فإن أفراد الشعب اليهودي بفلسطين - من غير خريجي المعتقلات - كان توحدهم بالمتوحدين

بالممعتدى من شباب بوختفالد وغيرها عند بدء المذابح في قرى فلسطين كان أعمق أثراً لاتصالهم المباشر بهم.

يتضح إذن السر في لغز قيام دولة تنتقمها أبسط مقومات الدولة، أعني اشتراك أفرادها في الثقافة والقيم الحضارية واللغة التي تكلمواها صغاراً، من حيث إننا نعلم أن يهود إسرائيل وفروا إليها من بلاد شرقية وغربية، ويقوم بينهم من الاختلافات والخلافات أكثر مما يقوم بين يهود فرنسا والمسيحيين فيها مثلاً، وتکاد أن تكون دولة عنصرية باتفاق شعبها إلى «الأشكينازيم» و«الإسفارديم»، أولئك يحتقرون هؤلاء ويرون فيهم سوياً سخرية الأقدار - صورة اليهودي الذليل الثالث الذي يتبغي اضطهاده وإنكاره، دفاعاً ضد انبعاث هذه الصورة عينها من أعماق نفوس اليهود الممتازين الحاصلين على هوية نازية كاملة. أقول إن السر في قيام دولة المتناقضات هذه - على أساس من الفزو والفتوك الوحشي - إنما يرجع في نهاية الأمر سيكولوجياً - إلى تحول اليهودي في فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى طاغية بعد مذلة، وسفاح بعد خداع، عن طريق التوحد بالممعتدى وتنظيم هذا التوحد تنظيماً جعل منه شريعة المجتمع الإسرائيلي، والرباط الذي يجمع شباته ويخفى تناقضاته.



عن بديل. وإذا حدث أن من يعثرون عليه كان شريراً أو منحرفاً، رأيناهم يتخذون نمط الشرار أو الانحراف على نحو يكاد أن يكون نسخة طبق الأصل. وكذلك يكشف التحليل النفسي عن أن سلوك الخير أو الشر ليس ظلماً، أي طبقة سطحية لاجذور لها في أعماقهم. بل إن الحب والعاطفة المشبوبة أو الكراهية والبغضاء المترافقان مما يصطنعونه ليس حباً ولا كراهية بالمعنى الصحيح، وإن وراء ذلك كله بناء نفسياً خاويًا يسكنه الارجود: حياة عاطفية ضحلة ضحالة تكاد أن تكون الفقر الوجوداني المدقع، الذي يذكرنا بما نجده لدى بعض مرضى الفحاص على شكل مستفحلاً، أو لدى أطفال بخنفال الساقب ذكرهم.

فالأمر لدى أفراد فئة «كأن» إنما هو محاولات مستمرة لسرقة صورة «ترجессية» للذات: سرقة هوية وبحدٍ عن ذاتية ضائعة. ومن أجل ذلك فإن المحلل النفسي يتذرع بكثير من الحذر في علاج هؤلاء المرضى، وإلا فإنهم قد يواجهون أعظم الشقاء، بل الانزلاق أحياناً في المرض العقلي المستفحلاً. وهذا مريض من فئة «كأن» جعل -عندما كشف التحليل النقاب عن الشخصية التي كان يتوحد بها - جعل ينتابه أعظم القلق المدمر، حتى انتهى إلى حالة فقدان الشعور بالآنية وانزلق في حالة

و فوق ذلك كله يمنع أفراده شبه هوية مستقرة تكتم مافي أعماق كل منهم من خواص وتصدع في بنية «الآن» و«كأنه» يملك شخصية وثابة في غير هياب. وهذا يذكرنا بفئة من مرضى النفس يقال لهم في التحليل النفسي: مرضى «كأن». والمقصود بشخصية «كأن» أفراد لا يبدوا في سلوكهم الظاهر أى عرض من الأمراض المرضية المألوفة لدى مرضى النفس. ولكن ما إن يقول الاتصال بفرد من هذه الفئة لا يلبث الإنسان العادي أن يتتساءل: ما هذا؟ أن هذا الشخص غريب الأطوار دون أن يستطيع أن يقر بالضبط ما الذي يراه غريباً ومحيراً لديه.

سرقة

الهوية

ويكشف التحليل النفسي لدى أفراد فئة «كأن» عن أنهم في سلوكهم يكادون يعكسون حرفيًا سلوك من يختلطون بهم، فهم خيرون ذوو طباع حميدية إذا كان من يعايشونه خيراً، ونجد لديهم ميلاً ملحاً إلى الالتصاق بفرد يعينه يعكسون أنيته ويتوحدون به توحداً يكاد أن يكون تاماً. وما أن تفرق الظروف بينهم حتى تلحظ لديهم نوعاً من الضياع وفقدان نمط السلوك المستعار، ونجدتهم متذمرين في البحث

شب فصامية جعل يزد المقول أثناءها: «من أنا؟ بربك ردتى إلى ما كنت عليه». شخصية المتوحد بالمعتدى والتغلب على القلق والرعب الذى هو الأصل فى عملية التوحد بالمعتدى، كما سبق القول - وبعبارة أخرى لابد لإسرائىل أن تسارع إلى الرد بالهجوم، وكان لسان حال إسرائىل يقول: مازلت أنا المعتدى. فلا خوف على من أن أرتد إلى ما كنت عليه: يهودياً تائناها رعديداً يفتاك به الناس فى كل مكان.

فضح القناع

وهذا يقودنا إلى مشكلتنا الروح المعنوية وال الحرب النفسية، إن هاتين المسألتين من الأمور المأولة في كل حرب. ولكنها بالقياس إلى إسرائىل وبناء على ما تقدم من مناقشة، فإنها أعظم خطراً، ذلك أن الروح المعنوية بالنسبة للمجتمع الإسرائىلى تتصل مباشرة بالبناء النفسي الاجتماعي بأسره، بمعنى أن اختلاض الروح المعنوية يتذر بخطر انهيار الهوية الزائدة المستعارة والتي بالرغم من زيفها مكنت لأفرادها أن يسلكوا «وكانهم» أقوياء ليهابون مواجهة الأخطر، وفوق ذلك أسدت إليهم قدرأ من شرعية الوجود. أما الحرب النفسية فهي دفاع عن البناء النفسي بالمعنى الذى بيته، لا بالمعنى العالى المأولى، فهى مسألة حياة أو موت نفسى، ولعلها

بعد هذا الاستطراد الذى اضطررت إليه توضيحاً لبعض قضايا التحليل المعقده، المتصلة بموضوع هذا المقال، رأينا شواهد موحية معاً فمنذ انتهاء حرب ١٩٧٣ عودتنا الإسرائىليون أن الرد الانتقامى لا يقتصر على مجرد الردع وإنما الخوف فى نفسى المعتدين عليهم، فقد وضع ذلك وضوها تماماً فى حادث الاعتداء على مطار بيروت كرد على الهجوم على طائرة العال فى أثينا. ذلك أنه من الواضح أن المستولين فى إسرائىل لا يجهلون موقف لبنان السياسى فى نظر الغرب وفرنسا بخاصة، وإن هجومهم على مطار بيروت لابد أن يكون له رد فعل خطير لدى المستولين فى فرنسا. ومع ذلك فقد أقدموا على هجومهم الأحمق وهو قوم أذكياء - فكان الجزء المعروف من حظر تزويد إسرائىل بطائرات الميراج التى كانت فى أشد الحاجة إليها. أما تفسير هذا الحمق الذى يصدر عن أذكياء فلاتخطئه عين المحلل النفسى، فالهجمات الانتقامية لها دافعها النفسى العميق. إنها أمر

بما هي كذلك أشد نكراً من الحرب فلسطين والعرب، لهذه الوظيفة الفعلية في ساحة القتال. ومن الطريف أن مؤلفاً صهيونياً أصدر أخيراً كتاباً استطاع بحدس عميق أن يلمس قضية فيه تتصل مباشرة بما أسوقه بمقدار الحرب النفسية. فقد قرر أنه يعتبر أن المسلم أخطر على إسرائيل من الحرب الفعلية. وحجته في ذلك أن الحرب تجعل يهود العالم يتکاثرون. ويوجهون كل اهتمامهم إلى سلام إسرائيل فيما دونها بكل ما تحتاج إليه. إلا أن حدس المؤلف العميق جعله يقرّر قضية صحيحة - وهي أنه بالقياس إلى إسرائيل، فإن الحرب الفعلية خير لهم من السلم (٢). ولكنه أخطأ الأسباب العميقة لهذه القيمة النابية التي تتعارض وما يعلنه المسؤولون في إسرائيل. ذلك أن الحرب الفعلية لا تترك للفرد الإسرائيلي فرصة مواجهة نفسه، تلك المواجهة التي يخشى أن تقضي قناع هوبيته المستعارة. وفوق ذلك فإن الحرب الفعلية التي خاض منها ثلاثة معارك جعلته يظفر بانتصارات تعزز هوبيته الزانقة وتقيم الدليل على أنه السيد في مقابلة مع العبد المهزوم - إذا استخدمنا عبارة «هيجل» السابقة - من حيث إن الهزيمة تتضمن اعترافاً بالسيد تشد ذرره، وتنحه ما هو في أشد الحاجة إليه: شرعية الوجود.

بقى أن نتساءل: لم اختار اليهود

الشفاء لداء عضال مزمن.

أما العبد المثالى- من الناحية النفسية وفق جدل السيد والعبد- فيبدو أن الإسرائىليين يجدونه أقرب مثلاً في شخصية العرب، وأبعد مثلاً في سكان البلاد الأخرى التي كانوا يفكرون فيها.

وأحب لا يسامء فهم ما أسوقه من البحث في إسرائىل وفي قسم بحوث الشرق الأوسط في الجامعة العبرية.

وبعد، فثمة بحوث إحصائية موضوع بها، قام ببعضها علماء يهود، تؤيد معظم ماقدمت في هذا المقال من التحليل النفسي. ولكنني أعني القارئ منها لأنها لاتتناسب مع المقام في مثل هذا المقال. وتكفينى الإشارة إلى أن معظم هذه الإحصائيات تقيم الدليل على أن نسبة مرضى النفس والعقل لدى اليهود (وبخاصة في أمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا) هي أعلى نسبة، إذا قورنوا بالمسحيين والمسلمين. ومن أطرف هذه البحوث بحث أجرى في إسرائىل يقيم الدليل على أن نسبة

هذه الأمراض لدى اليهود- وبخاصة الذين وفدو إلى إسرائىل أثناء الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها- بحث إحصائى هو البحث الذى قام به «هالفى» في إسرائىل مقارناً فيه سكان المدن والقرى العادلة بسكان القرى ذات النظام التعاوني ثم سكان مستعمرات «الكيبوتز» وذهب «هالفى» إلى أن

أذاع في هذا المقال فلست أزعم أن الإسرائىليين طففة من مرضى النفس. إن مثل هذا القول تنبؤ عنه الأمانة العلمية، ويعتبر انزلاقاً مع «التحقيق الوهمي للرغبات» كما يقال في الانجليزية. لقد نجح الإسرائىليون في أكثر من ميدان: التكنولوجيا مثلاً، وأفلحوا في بعث العبرية القديمة في ثوب جديد، مما كان له أعظم الأثر في زبط شتاهم، كما نجحوا حيث أخفقنا في التقدير والتخطيط وبخاصة في الحروب التي شنوها. بل قد نجحوا في ميدان هو منظور هذا المقال: أعني الناحية السicolوجية. فقد استخدموها أعلى مواصلت إلى التكنولوجيا في ميدان علوم النفس. ولا أذيع سراً إذا ذكرت أنهم استقدموا بعض كبار علماء النفس من اليهود في أمريكا وأوروبا. وعلى سبيل المثال لا الحصر، يعلم الكثيرون من علماء النفس في مصر أن البروفيسور «جتمان» وهو شخصية عالمية في علم النفس وله بحوث

نفسي يعلم أن مرضى العقل لا يشierenون كما يفعل المرضى بالعصاب. وأكثر من ذلك، فإن تجربة كل طبيب نفسي تدل على أن أقل مرضى العقل، وخاصة الأبوين، يتعامون ويرفضون الاعتراف بأن ولدهم أو ابنتهم «مجنونة» حتى يستفحلاً المرضي ولا يكون من الاعتراف مناص.

وفي ختام هذا المقال، فلاني أهيب بشباب علماء النفس العرب أن ينهضوا إلى مستوى المسؤولية. إن عليهم واجباً وطنياً وقومياً، وأمامهم رسالة علمية لابد أن يقطنوا إليها، وهي إسهامهم في إجراء البحوث السيكولوجية المتصلة بقضية المصير العربي.

هوامش

- (١) محاضرة ألقيت بالجمعية النفسية المصرية عام ١٩٦٨.
- (٢) السلم بمعنى المتعارف عليه لا بدلاته التوسعية التي تنتظر الانقضاض.

نتائج إحصائية تدل على أن نسبة الأمراض النفسية والعقلية تبلغ أعلى ذروتها في القرى غير التعاونية تليها القرى التعاونية ثم مستعمرات «الكيبوتز» مما يؤكد في نظره أن التنظيم النفسي الاجتماعي في «الكيبوتز» يحقق لإسرائيل أن تتحرر به.

على أن فحص هذه الإحصائيات لا يليث أن يكشف عن أن أعلى نسبة في أمراض العقل وبخاصة الفصام - نجدها لدى سكان «الكيبوتز»، وإن ما يقوله «هالفي» لا يأخذ في الاعتبار إلا النسبة في باقي الأمراض (العصاب وانحرافات السلوك وما إليها) ومن ثم كان على «هالفي» أن يفسر هذا «الاستثناء»، فقال إن ارتفاع نسبة الفصام وما إليه من الأمراض الوظيفية إنما يرجع إلى ارتفاع نسبة التحضر في هذه المجتمعات، مما يجعل مرضها يغدون على الاستشارة والعلاج في غير إبطاء. ولكن هذه مغالطة ساذجة، لأن كل طبيب

تحياتان إلى مصطفى زبور

مصطفى صفوان

(١) المعلم

بعد أن رجعت الفلسفة المعاصرة إلى الاهتمام بالإشكالات التي كانت تدور حولها المناقشات الجامعية في تلك العصور (إشكال اللامتناهى أو إشكال القضايا المحيلة إلى نفسها) ، أن هذا النهج - فضلاً عن كونه مرانا لا يستغنى عنه في فن القراءة - ليس في الواقع مثله في شحد الذهن وحمله على إثبات التمييزات الدقيقة (كالتمييز بين أنواع التضاد ، مثلا).

على الصدر من ذلك ، كان الدكتور أبو العلاء عفيفي - رغم أنه أكبر من تعمقوا فلسفة محبي الدين ابن عربى التصوفية - لا يرى لقضية فضلا على

درست الفلسفة بكلية أداب الإسكندرية خلال سنوات الحرب ، وكان من حسن حظى أن تتلمذت على ثلاثة أساتذة لم أر مثلهم محبة للعلم والتعليم ، وإن اختلفوا بعد ذلك أيمما اختلاف .

كان الأستاذ يوسف كريم رجلا يؤمن بالعقل وبقدرة العقل على إثبات وجود الله على النسق المأثور عن القديس توما الأكوييني ، فكان الدرس عليه انكباباً على النصوص في محل الأول ، ولقد يبدو هذا النهج - وهو النهج المأخوذ به في العصور الوسطى - نهجاً عقيماً لفظياً ، ولكننا نعلم اليوم ،

آخرى إلا إذا وجدت سندًا من التجربة بهم يزيد على علمنا بأسمائهم، مثل هجل أو هييدجر، بل كنا أحيانا نجهل حتى أسماءهم: سارتر، فيتجنشتاين، پوپر، الخ.

وواضح أن هذا الأسلوب في التعليم كان يتضمن فوق الانتباه إلى الرأى الانتباه إلى صاحب الرأى نفسه. وربما لا تكون مخطئاً إذا قلت إن الدكتور زبور كان يصدر في هذا الانتباه إلى أشخاصنا عن رغبة في توسيع من يصلح تجنيدهم لقضية التحليل النفسي التي لم يكن يخفى علينا أنها كانت شغل الشاغل. وهكذا امتد تأثير الدكتور زبور امتداداً تغيرت به الحياة كلها، لا الفكر وحده.

صاحب الدكتور زبور في رحلته بعد الحرب إلى فرنسا حيث ثبت خطواتي الأولى في مجال "القضبية" وحيث انصرف هو إلى صياغة نظرية في الدلالات النفسية العميقية للأعراض الجسمية - النفسية تكونت حولها مدرسة لا تزال تعد حتى اليوم المدرسة الفرنسية الأولى في هذا الميدان. وإن لي سعدنى أن أقول إن الحالة الوحيدة التي تاج لى في ثانياً تعليلها إلقاء بعض الضوء على عرض من هذا النوع (قرحة في المعدة) جاءت تؤيد نظرية

الحسية، أى أن موقفه كان موقفاً شكياً في المقام الأول. ولقد يبدو هذا الموقف للبعض موقفاً هداماً، سلبياً، ولكن الحقيقة هي أن كل مناقشة مع الدكتور عفيفي كانت درساً في التسامح الفكري وفي التصون عن الانسياق لنهم المعرفة انسياقاً يجعل المرء يبتلع أي رأى.

يتتبّين من هذا الكلام أن الدرس على هذين الأستاذين الجليلين - دام ذكرهما - كان بمثابة دخول في تقاليد فكرية عريقة ومراس عليها. ومنه يدرك القارئ مدى دفشتنا حين جاء الدكتور مصطفى زبور للتدرّيس بكليتنا عام ١٩٤١-١٩٤٠.

كان للدكتور زبور أسلوب في التعليم لم نكن نحلم به رغم جميع ما سبقت لنا قراءته عن سقراط: أسلوب لم يكن تلقينا بل استمعنا. كان الدكتور زبور يكتفى بعرض المسألة (ولتكن مسألة الحتم النفسي) ثم يستفسرنا. ولم يكن هذا الاستفسار إخراجاً للمضمور وحسب - علمنا به أو لم نعلم - بل هو كان قبل كل شيء الفرصة الأولى التي أتاحت لنا الخبروج من سجن البرامج الجامعية والوعي بوجودنا في هذا السجن. فقد كنا إذا أدلّ أحدنا برأى أجراه الدكتور زبور باستفساره في صدد آراء أخرى لمفكرين لم يكن علينا



الدكتور زيور مائة في خصوبة وابتكاراً عن مثيلاتها في أي بلد آخر. ولكن العواميف التي اجتاحت

بلدنا بما ترتب عليها من القطيعة بيننا وبين كل نتاج فكري يعتد به في الخارج فاقت احتمالنا جميعاً .. إلا الدكتور مصطفى زيور: فقد صمد وحده لها.

فاما كيف صمد وهو الذي كون مدرسة بفرنسا خلال إقامة لم تزد على السنين بينما انقض الجميع من حوله بمصر، فلهذه في نظرى معجزة أعترف أنى أذهل لها.

لقد عرفت الدكتور زيور في البدء مثلاً نادراً للمعلم، وإن لاحين فيه الآن مثلاً منقطع النظير للوفاء للوطن.

ثم عدت إلى مصر للعمل بقسم علم النفس بجامعة عين شمس الذي كان يرأسه الدكتور زيور فوجذته قد أثار حركة كبيرة في ترجمة أهم نصوص التحليل النفسي ، حركة لا تحتاج إلى وصف ثرائها المدهش بالقياس إلى قصر زمانها، ولكنني أود أن أؤكد دون مبالغة أن جميع الترجمات العربية التي أشرف عليها الدكتور زيور لانقل في دقتها وطلاوتها عن أحسن الترجمات الموجودة إلى اللغات الأخرى.

هذا الإنتاج الغزير أكبر دليل على أن تلامذة الدكتور زيور لم ينكروا بارض الوطن لتكوينت منهم مدرسة لا تقل

(٢) نبذة حول

الأب المثالي

ترجمة: محمد مهدي قناوى

ياد انمارك : عيّنا تنفصلين ومكانته
عنا، نحن زهر النرد الذي القاء
وظائفه:
أـ تقوية أساس الرغبة فوق
القانون بصفته تحريما . فمن
الأهمية البالغة أن ثلثة النظر إلى أن
الأفرحة، وعشاقهم الأحلام.
هذا الأساس بالغ الأصالة لدرجة أنه
يشتمل والحق يقال على تضمين
جوهرى للقانون داخل الرغبة، وهو ما
ألقت عليه الضوء تأملات القديس بول
فلا يمكن الحديث بعد ذلك عن الرغبة
التي قد تتعارض مع القانون ، فمع
خمول الكف والشعور بالذنب ، فإن
الرغبة "كجاذبية أولية" (١) مفرطة تعبر
عن نفسها دفعه واحدة ، ومن هنا تأتى
بالضبط ضرورة التسوية الاوبيبية
الاستعداد للموت

هذه النبذة هي محاولة لتوضيح
روابط الذات بالحقيقة من خلال تزعة
نفسية يسيطر فيها ذلك الشكل الذي
 يجعلنا التحليل على اللغة به، وهو الأب
المثالي وخصوصاً في شكله الحوازي
غير أن بعض كلمات تفرض نفسها في
بداية الأمر ، حول وظائفه وبنيته

السوية حيث وظيفة الأب ليست كما تضمنها المادتان السابقتان، وإنما هي في معارضة القانون للرغبة، ييل على العكس في التوفيق بين العكس هو الصحيح، مما تضمنه به الذات عن طواعية هي رغبتها بهدف اللجوء لكتف القاضي.

ب- تدعيم التوحد الترجسي الذي
الدوام .

ومنذ ذاك فإن الفالوس (الخطيب)
 كموضوع يؤكد وجوده على هذا النحو
 من الإطلاق لدرجة ينعدم فيها وجود
 الموضوع (-) ويضفي للعمل كموضوع
 موجود على الدوام أو ثاقص أيضاً على
 بيتهما، ويشهد الأب المثالي باخفاق
 هذه التسوية من حيث أنه بدلاً من أن
 يحل هذا التعارض فإنه يوطده، ليس
 فقط من خلال تحريم الأم ، بل تحريم
 كل شيء .

يصبح شرطاً لـ"مقابلة" مع الموضوع ، فالذات تمضي متذكرة فيه، من حيث كونها مالمة تذكره، أي ذلك الشبيه غير أعمى.

جـ- إنشاء حد يعترض ولا يرضي، أبداً
رغبة الأم؛ ومن ثم فهو حد تدوم فيه
غياب الذات عن مسرح الجريمة، وعلى
نحو أكثر دقة تتفق مع الدخول
المحتوم للدار. الآبوي في علاقة تظل
مميزة بامتثال بدائي مع ما يشتمل
عليه من تهديدات.

المتشابه الذي يمتلك ما يعتقد في
نفسه أنه محروم منه وهو الفالوس
(القضيب) وبهذه الصفة يتجلّى الآب
المثالي كمنافس مغدور به على الدوام،
في مكانه "المسروق" توجد الذات،
كماجز غير أنه حاجز جوهري: فالذات لا
تتمكن سوى رغبة وحيدة وهي أن تدفع

فوق قاعدة تمثاليها - حتى يستقر فوقه. **بنية:**

متخيلة ، ومتضمنة تماماً لعنصر من النظام الرمزي. وتتحقق هذه البنية في تعامل تظهر معه لدى جميع الأفراد ، فلا يوجد سوى أب مثالي واحد، يصوغه كل فرد حسب طريقة . وفي قول آخر ، تتحقق هذه البنية على حدة وغالباً بلا تغيير لدى من يقوم بعزل المتناقضات بين ملامع هذا الأب وملامع الأب الواقع. ومثال ذلك ما يدعى لنفسه من سيطرة متخيلة كافية للتحفظ برغباتها، إلا أننا نؤكد أن هذه الوظيفة من كل ما تقوم به من دعم في تقنين وضبط المتخيل، هي على هذه الدرجة من الفسورة حتى أن الذات الحقيقية - وأعني هنا الرغبة - تلashi أو تحتاج كلما تمضى لهذه المقابلة". وعلى حين أن جونز Jones (٢) يساند فكرة أن الذات التي تجد نفسها أمام ضرورة الاختيار بين رغباتها وقضيبتها تضحي بالأخير للتحفظ برغباتها، إلا أننا نؤكد أن

على الرغبة.

مكانته:

عرفت ذلك ألم لم تعرفه، وأما بخصوص
مكانته فهو ميت، وهذه الحقيقة راسخة
في نظام كينونته ولا يستطيع أى فرد
حي أن يوجد فيها . يبقى فقط أن عماه
يفلت من هذا الفحص ، بل إنه على
نحو أفضل يضاعفه، ذلك أنه أعمى
وحتى ذلك فإنه لا يعرفه .

ولكن من أين يأتي هذا القلق الذى
يعكر صفوى وسلامى من وقت لآخر؟

فى كل مرة تتحطم الحقيقة
وتكتشف الرموز التى تدل عليها إذهى
مطبوعة بآثار الرقابة يكون المرء على
يقين بأنه لا يوجد سوى الموت بين
الذات ومحارتها. هل يعني ذلك أن
الخوف من هذا الشكل هو الذى يكتب
الحقيقة المتعففة والقابلة للتمفصل
بواسطة الذات؟

حقيقة لا. لأن الأمر يتعلق بحقيقة
فبشعورية وهى حقيقة تستطيع الذات
معها أن تحافظ على علاقة إنعكاسية،
وفيما عدا الزمن الذى يدحض هذه /
الحقيقة من المهم أن نشير إلى أن
فرود لم يستطع أن يتمسك بآى دافع
يمكن أن نعزوه إلى الكبت سواء أكان
أخلاقياً إجتماعياً، أم إشمئزازاً . وإذا ما
تحدثنا على غرار بروير Breuer (٢) فقد
كان ذلك تحديداً بسبب أن أيا من هذه
الدافع لا تستطيع أن تجعلنا "نفهم"
لماذا ينجم عنها كبت وليس دفاعاً سوياً
وبسبب الدينامية مهما كان أمرها فإن

(أ) هو ميت ، فما إن يصل تحليل ما
إلى نهايته، حتى يندو من المهم أن
تخرج من مكمنه ذلك التخييل الذى
يظهر فيه باعتباره قد سبق موته،
وغالباً ما يكون هناك توحد مامع واحد
من الموتى فى تاريخ الفرد. وفكرة أن
تحليل ما يصل إلى نهايته "عندما يُقتل
الآباء" إنما هي فكرة بلا معنى حيث
يتذكر النذر بأن هذا التخييل مما يجب
الوفاء به. ومن ثم فهى فكرة طفلية،
بالمعنى الذى يختص به الأطفال ، من
المؤكد أن فرويد قد تكلم كثيراً عن
طفولتنا بيد أنه تكلم بتنفس القدر عن
الرغبة "التي لا تقبل التدمير".

(ب) هو أعمى، وليس بأعمى فحسب
بصدق حقيقة الرغبة، بل لأنه لا يريد أن
يعرف عنها شيئاً.

ولسوف نشير إلى الفحص أى
التناقضات التى تطبع هذا الشكل لدى
كل المستويات، ففيما يتعلق بوظائفه
فإنها تعزز التناقضات كلما تم تجاهل
القانون ، وتفرض الشعور بالواجب
والالتزام كلما احتجبت الذات كعربون
على ذلك. أما عن بنيةه التى تضع
نفسها تماماً عند مستوى التخييل
والرمزي فإنها تنفذ داخل أى إدراك
للشبيه أو داخل أى خطاب للأب ، سواء

داغن الكبت يظل متكلما على نحو صارم هذه الأهمية البالغة حول إشكالية معرفة المعيار الذى تصبح فيه هذه الرغبة فى الآخرين مهذبة طبيعة بمعنى آخر أى عبء ذاك الذى يتلقاه من نعتبره ممثلا للقانون، أى الاب فى خطاب هذه التى تأتى لتحتل واقعيا هذا المكان الذى يشله الآخر أى الأم.

وبالقدر الذى يظهر فيه الآخر الواقعى، وهو ينشئ نظاماً من الأقوال الممنوعة أو المحظورات فإنه يتجلى في نفس اللحظة وهو ينشئ نظاماً يلطف، أى أنه يكتشف كآخر كامن فى الخجل أو الرعب الأصم، أو فى الطيبة أو المjalمة التى تخلقها التربية. ولا يتوصل إلى أنه يهب صوته للقانون كى يرتكز عليه الدفاع الذى يفرضه القانون، وبواسطة هذا الشى نفسه فإنه يشهد على حضور الرغبة(٤)، وينفس هذا المعيار أيضاً يمكن القول بقدر ما يتحقق فى اندماجها فى النظام الرمزى، فإن الذات تسقط تحت الضربة التى يوجهها الأب المثالى، وفى كل الأحوال هل يجب علينا أن نكرر بعد فرويد من أنه ما من فردوس غير الفردوس التفلية، وأن هذا هو ما لا يريد هذا الأب أن يعرف عنه شيئا، كما أن الذات تحديد أيضاً هي الأخرى عن هذا الأمر من غير أن تعرف عنه المزيد.

ويتضح السبب فى هذه الحالة إذا ما انطلقتنا من هذه الملاحظة: عند أى

الشعور بالذنب ، إنما يمثلون على الأكثر تلك العملة التى يصرفها المكبوت فى كل مرة كان على الذات أن تقترب منه ومن الجلى أن شبع الخوف لن يحقق بتوسيع عبئية تلك ويفتتضى الأمر هنا توضيع عبئية تلك الفكرة القاتلة بوجود "قوة" تنطبق على "المعنى" ذلك أن الحديث عن "العنف الذى يصنع المعنى" لهو عمام للذات عند مستوى الرعب.

إن الذات باعتبارها تتكلم ، فإنها لا تكون على صلة بصورة، سواء أكانت صورتها الخاصة أم صورة شبيهها، وإنما بما وراء الصورة . وهذا الماء وإنما يمثل الغياب الذى توجد فيه ، فهو على صلة بالآخر كموقع للذوال ولكنها أيضاً باعتباره إرادة يصنع بطريقة أصلية قانون المشاركة بين ما يقال وما لا يقال ، فهى داخل مالا يقال تبقى الرغبة ممنوعة، وهى الرغبة التى بصدرها تستنطق الذات نفسها، ذلك أنه لا يمكن أن تستجيب نفسها بصدر رغبتها الخاصة إلا تحت هذا الشكل المستلب وبالنسبة لها من أين تنبع

تفسير يُتعرّف على الرغبة، فإن الذات أيضاً أن يضاف إليها الشعور بالخطأ غالباً ما تتصرف وهي تلوح بأشكال أنا (٦): وما إن ينجلِي خداع الآب المانع علوية وهكذا، فعلى سبيل المثال، فإنه المتوجَّد مع القانون والذى كان قد تحول إلى أسطورة، حتى يصبح اللجوء إلى أشكال أنا علوية باعثاً على اليأس. وهو خداع يقاس إمتداده ونفوذه، بتنوُّع ذلك الاعتقاد الذي ستكون وظيفة الآب بمقتضاه إنما هي معارضة القانون والرغبة، إلا أن هذا اللجوء يصبح هنا هو ما تتمسَّك به الذات في طريقها للتعرف على الرغبة يردها إلى تقطيع وتجزئتها طفولتها.

إن هذا الآب إنما هو تخيل استثنائي . ليس بالمعنى الذي تدفعنا إليه كلمة الاستثناء لنتصور وجود نظام جديد ، ولكن يُمْعِن وجود متخيل يستثنائي في النظام القائم، وهو تخيل يقوينا على غرار الصغير هائز (٧) : وبشكل يبعث على السخرية نحو حظر الرغبة التي تكمن داخل إستلابها باعتبارها رغبة لا يمكن أن تقترب من الآخر، أو تربطنا باستعداد نحو الشعور بالذنب ، ذلك الذي لا تستطيع عنده أن تفهم أى شيء، ففي هذا التخييل تتغلب الذات على خصاء لم يكن واقعياً أبداً) ولا يكفي هذا للنظر إليه باعتباره ذا طابع تخيلي (محض)، كما يستعيد فيه موضوعاً لم يكن قد فقده أبداً، أو أنه يكون قد فقده على الدوام إذ أنه لم يكن موجوداً على ولا جدوى من أن نضيف هنا أن انبساط هذه الذكرى لم تكن كافية بدون معالجة أكثر رحابة تقوم برفع الكف الذي يعانيه الفرد الذي تمت تقويته - على العكس من ذلك - خلال هذه الفترة من التحليل. فماذا يعني في هذه الظروف بزوغ هذه الأشكال "الضاربة" ، ولكنها أيضاً أشكال "فاجرة" (Lacan)؟ (٨)، ولماذا تأتي لتموه على إخفاق وسقوط الآب المثالى؟ وإذا كان صحيحاً أن الرقابة تشير إلى تدخل الموت، فلن ننسى أن هذا الموت هو الذي يقدم للذات ذريعة للمقابلة التي بدونها لن يوجد بالنسبة لها أى نوع من العلو ASSUMPTION التناسلى الممكن ، ذلك أنه من المناسب أن نشير إلى أن الأديب - بعد كل شيء - لم يمنع البشر : "القانون" - قط من ممارسة الحب، لكنهم فحسب - في متواطهم - مكتفين به، إذ يجب

إطلاقـ (إن هذا هو ما يشير السؤال لمعرفة السبب الذى لم يكن للموضوع معه أى نصيب فى الواقع .. باكثر مما للسكين التى لا تصل لها ولا مقبض من مثل هذا التصبيب ، ومع ذلك يأتى هذا الموضوع ليلعب دوراً بالغ الأهمية فى الاقتصاديات (اللبيدية)، غير أنه يبرهن فى الوقت نفسه على أنه يكاد شعوراً بأنه مختص فى علاقته بالصورة التى ينعكس عليها هذا التخييل ويحقق غايتها دون علم منه.

ويتجزء عن ذلك أنه لا يكتفى بمعظمه واحد يكون موسوماً على الدوام بتصدع بضم الإنسان ، (لماذا؟ هذا السؤال الذى تركناه معلقاً فى هذه الملحقة) ورغمها فهو (أى التخييل) هو الذى يفرض شكله على كل موضوعات عالمه ويطلق بظلاله على كل ما يكون واقعاً: مواهبه وأفعاله وأقواله وذلك بواسطة علامة نفي مقدر لها أن تشكل كل ذلك باعتبارها قدرأً من المظاهر.. والتى يرسم وراءها الشىء الآخر.

إنه إذن عبر رسالة ثانية (أنا أكذب)، حيث يشير فيها لنفسه كخائب ، فإن الذات تتناكـ (تثبت) من المكان الذى كانت تتنتظر فيه منذ زمن بعيد ، ذلك إن كان حقاً ما يقوله فرويد من أن الأم إنما ترمز للطفل من خلال القضيب (الفالوس).

إلا أن عبارة (أنا أكذب) ليست نفياً

هو امش

Freud S: Aus den Anfangen der(1)
Psychoanaly P.406
(2) إرنست جونز' Jones'e من المحللين الأوليين، وكان رئيساً للجمعية الدولية للتحليل النفسي، ومن مؤلفاته الشهيرة: فرويد : حياته وأعماله في مجلدات ثلاثة (المترجم).

(3) انظر الفصل الذى كتبه فى دراسات فى المستيريريا "hysterie Etude sur la"



P'annee 1959-1960 Echique de
psyghanalysis.

(١) ليس بمعناه الأخلاقي ولا الدينى ولكنها أيضاً وبشكل سافر بالمعنى الاشتقاقى لكلمة النقص.

(٢) انظر (في حالة هانز الصغير) ذلك التخييل الذى يحطم فيه أبوه واجهة زجاجية ويدعه يسجّن نفسيهما ، وبالمثل تعليق فرويد "القد اصطدم بحاجز ارتكان المحارم ولكن اعتبره كشن معنوع فى ذاته" وأنا أشير فى هذا الصدد إلى أن التجربة التحليلية لا تسمح لنا يائى طريقة أن نقبل طرح قانون تحريم المحارم كولاف Synthese يمكن أن يأتي ليفرضى على أي نوع من التصور الذى يبرزغ فى ثنايا الخطابات والمجاهدات المتخيلة. ذلك أن الصراع لا يمكن أن يكون موجوداً ، مالم يسبقه وجود القانون.

بعنوان "اعتبارات نظرية".

(٤) وهو خطأ لم يستطع لطن أو تفهم والد الصغير هانز أن يعالجه (المؤلف) ولهانز الصغير هو إحدى الحالات الخمس التي نشرها فرويد تحت عنوان "خمس حالات في التحليل النفسي" (ترجمة صلاح ضحيم، مكتبة الأنجلو، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ٢٦)، وقد نشر فرويد حالة الصغير هانز تحت عنوان "تحليل فوبيا عند صبي في الخامسة" وكان والد هانز طبيباً من مريدي فرويد - في مطلع القرن - وهو الذي تولى بنفسه تدوين ملاحظاته حول تطور حالة ابنه وقدم له تصانحه معه (المترجم).

رابع تقديم الدكتور مصطفى ذيور للحالة في المرجع السابق .

(٥) انظر جاك لاكان : حلقة عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ أخلاقيات التحليل النفسي lacan, J.seminaire de

ملف

مصطفى زبور:

عقل عالم، وقلب إنسان

(عود على بدء)

فوج عبد القادر طه

أستاذ علم النفس كلية الآداب - جامعة عين شمس

أما البدء فكان منذ حوالي ست سنوات عندما كتبت في العدد الثامن من مجلة علم النفس (المصرية) - في أكتوبر ١٩٨٨ مقالاً بعنوان (أعيد نشره في كتابنا - علم النفس وقضايا العصر، دار المعارف، ١٩٩٣)، تحية تلميذ ثابهين، يتسلحون بالعلم، كما يتسلحون بالخلق القويم. فكان زبور - رحمه الله - لا ينادي أحدهنا ونحن بالسنة الثانية بالتعليم الجامعي (حيث بدأ في تدريس التحليل النفسي لنا) إلا إلى نفس العنوان مستكملاً ومضيماً، واسمه مسبوقاً بلفظ "السيد". كما كان ينسى؟ ولئن كانت مقالتي الأولى قد ركزت على تكوين زبور العقلي خاصة معه خارج الجامعة، حيث يمثل والمعرفي والعلمي والفكري، وإنجازاته بالنسبة لنا مكان الأب العطوف،

وها أنا أعود - في ذكراء الرابعة - بالسنة الثانية بالتعليم الجامعي (حيث بدأ في تدريس التحليل النفسي لنا) إلا إلى نفس العنوان مستكملاً ومضيماً، مترحضاً ومتذكراً، وهل مثله واسمه مسبوقاً بلفظ "السيد". كما كان ينسى؟ ولئن كانت مقالتي الأولى قد ركزت على تكوين زبور العقلي خاصة معه خارج الجامعة، حيث يمثل والمعرفي والعلمي والفكري، وإنجازاته بالنسبة لنا مكان الأب العطوف،

زيور مما وقع فيه كثير غيره حيث
خرجوا على أيديهم "نسخاً كربونية"
تفني إحداها عن الأخرى، ولا يمتاز فيها
فرد عن فرد. وبذلك تطمس معالم كل
منهم، وتتغىّب ابتساماتهم، وتتوارى
إبداعاتهم.

إن أنس لا أنسى موقفاً له معى،
يعتبر نموذجاً للتقدير والالتزام الذي
يفرضه الأستاذ على نفسه نحو تلميذه.
كان ذلك في بداية السبعينيات حيث
كنت قد انتهيت من كتابة بحث ميداني
عن كيفية إخراج المكفوف لحمله، وفيه
وقدت على حيلة يستخدمها المكفوف
أطلقت عليها "التصوير السمعي" يلجم
إليها المكفوف - ضمن ما يلجم من حيل
يشارك فيها المبصرين - ليترجم
مسمون حلمه ويخرجه على النحو الذي
يرويه . وقبل أن أقوم بنشره في مقال
عرضته على أستاذى لأطمئن على رأيه .
وعند اتصالى تليفونيا به حدد لي
موعداً أمراً عليه فى بيته ، حيث أنه
انتهى من قراءته ويريد مناقشتي فى
بعض ما جاء به . وفي هذا الاتصال
التليفونى عرف أنى أكلمه من الشارع -
فليس عندي تليفون خاص - وأنى ذاهب
لتلوى إلى جامعة القاهرة لحضور
مناقشة رسالـة دكتوراه لصديق لي .
وبينما أنا فى قاعة المناقشـة ، أفاجأـ
بـاستاذى زـيور يقف على بابـها يـنـقلـ

يستضيفـنا فيـكرـم ضـيـافتـنا ، نـتسـامرـ حولـ العـلـمـ والـفـكـرـ والـمـعـرـفـةـ ، نـاهـلـينـ منـ بـحـرـ عـلـمـ الفـزـيرـ وـعـطـانـهـ الفـيـاضـ .
وكـلـماـ زـادـ عـدـدـنـاـ حـولـهـ زـادـ إـحـسـاسـهـ
بـالـسـعـادـةـ . وـكـانـتـاـ عـصـبـةـ أـبـنـاءـ يـتـفـاخـرـ
بـهـمـ الـآـبـاءـ . وـهـكـذاـ جـسـدـ زـيـورـ وـاقـعـيـاـ
مـاـيـقـالـ نـظـرـيـاـ عـنـ أـبـوـةـ الـأـسـتـاذـ ، وـنـجـعـ
بـسـلـوكـهـ مـعـنـاـ فـيـ إـقـنـاعـنـاـ بـأنـ الـأـسـتـاذـيـةـ

الـحـقـةـ لـيـسـ مـجـرـدـ وـظـيـفـةـ مـهـنـيـةـ بـلـ
أـيـضاـ هـيـ عـلـقـةـ إـنـسـانـيـةـ . مـتـخـطـلـيـاـ بـهـاـ
حـدـودـ الـمـحـدـودـ إـلـىـ الـلـامـحـدـودـ . فـمـاـ
أـنـتـهـتـ عـلـاقـتـنـاـ بـهـ بـتـخـرـجـنـاـ مـنـ الـجـامـعـةـ
أـوـ باـسـكـمـالـنـاـ لـدـرـجـاتـنـاـ الـعـلـمـيـةـ الـعـلـيـاـ .
بـلـ ظـلـلتـ وـاسـتـمـرـتـ .

لمـ يـفـرضـ زـيـورـ عـلـىـ أـىـ مـنـ تـلـامـيـذـهـ
أـتـجـاهـاـ عـلـمـيـاـ مـعـنـاـ ، وـلـمـ وـضـعـ بـحـثـ
مـحـدـداـ الـزـمـهـ بـدـرـاسـتـهـ ، بـلـ كـانـ يـتـرـكـ
لـكـلـ مـنـاـ حـرـيـةـ اـخـتـيـارـ اـتـجـاهـ الـعـلـمـيـ
تحـتـ إـشـرافـهـ ، يـسـاعـدـهـ فـيـ ذـلـكـ بـعـضـ مـنـ
مـعـاـونـيـهـ فـيـ الإـشـرافـ وـالـتـوجـيهـ . إـذـاـ لـزـمـ
الـأـمـرـ ، حـيـثـ كـانـتـ قـنـاعـتـهـ الـأـكـيـدةـ أـنـ
حـرـيـةـ الـبـاحـثـ لـابـدـ وـأـنـ تـصـانـ ، وـأـنـ
إـمـكـانـيـاتـ الـتـىـ يـخـتـلـفـ كـلـ مـنـاـ فـيـهـاـ عـنـ
غـيـرـهـ لـابـدـ وـأـنـ تـحـترـمـ ، وـتـتـاحـ لـهـ كـافـةـ
الـظـرـوفـ لـلـتـفـتـحـ وـالـنـمـوـ . وـهـكـذاـ نـجـدـ
لـزـيـورـ تـلـامـيـذـ مـنـ اـتـجـاهـاتـ عـلـمـيـةـ شـتـىـ ،
تـبـغـواـ فـيـهـاـ وـأـجـادـواـ . لـكـلـ مـنـهـمـ تـفـرـدـهـ
وـاسـتـقـالـلـيـتـهـ ، دـوـنـمـاـ تـعـصـبـ يـضـيقـ
الـأـفـقـ ، وـيـغلـقـ الـعـقـلـ ، وـيـحدـ مـنـ الـفـهـمـ
وـالـعـرـفـةـ - وـالـابـدـاعـ . بـالـتـالـىـ نـجـاـ



الدكتور مهدي علام عميداً. وكانت زيور مهابة في القلوب وخشية يستطيع فهمها من يعرف التحليل النفسي والطابع الطرحي الذي استقر الفهم الفرويدي على أنه موجود في كل علاقة إنسانية، ويومها، وكما يحدث زيور وإن كان بعض شهود الواقع أحياء أطال الله عمرهم.

* * *
بدأت متوجه الوجه، محتشداً

بالغصب، سائلاً دكتور مهدي :
هل يرضيك ما يصنعه الصغار والمغار (ولم أترك له فرصة للتساؤل) أما سمعت يا دكتور مهدي عن أكلة لحم الأب (وضحك الرجل مستفسراً) (ولم يترك زيور فرصة) يوسف مراد يلقى به في الشارع هكذا ... *

ويرد مهدي علام متسائلاً وقد أدرك طرفاً من غضبة زيور، ماذا تصنع ويعمل الله أثني مثل ذلك حزين له ولغيره، ولكن ماذا بأيدينا يا زيور بك.

أمسكت بطرف خفي من بصيرة - بعد لفظة بك - بإمكانية استجابة د. مهدي لما سأقترنه، واقتصرت لحظتها أن نصدر إعلاناً عن حاجة القسم - قسم علم النفس بآداب عين شمس - لاستاذ لعلم نفس الطفل، وكانت أعرف أن ذلك مستحيل، لكنني انتطلقت بالمطلب الأعلى والأصعب، وتهضي د. مهدي من كرسيه متسائلاً في وجل أراد ألا يظهره قائلاً (لكن يا دكتور زيور..) ولم أدعه

بصره لكي يراني، فلما لمحته خرجت إليه، وإذا به كان قد نسي موعداً هاماً في نفس الموعد الذي حدد له لكي أزوره، ولم يجد أمامه من سبيل لتصحيف الوضع إلا مجئه إلى في قاعة المناقشة.. هكذا كان زيور، يائبى إلا أن يعطينا من نفسه قدوة إنسانية تجسد معانى الاستاذية.

كان زيور دائماً مع الحق، لا يخشى في س بيله طاغية، ولا يدفعه خوف إلى مقالة سلطان أو تملقاً، وفي هذا يلخص لنا حسين عبد القادر - تلميذه الوفى - موقفاً معروضاً لزيور إبان حركة التطهير التي قامت بها الثورة في الخمسينيات فأصابت بعض أساتذة الجامعة، حيث يقول في مقال بعنوان : "مصطفى زيور: علماً من رواد التنوير" بندوة تكريمه رواد علم النفس والتربية - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٤ : "تحدى زيور قرار التطهير - الذي يلقى بعالمة كيوسف مراد في مهب الريح - بشموخ يعرفه من ينازله ، وهدوء يعرفه من قرب منه في الأوقات الصعبة والعصيبة، وبحل يعرف مغبة ما يختار، لكنه مع النقوس الأبية ليس له من اختيار".
كانت الريح العاصفة قد اقتلعت ضمن من اقتلعت الاستاذ الدكتور إبراهيم نصحي وحل مكانه الاستاذ

يكمل فقلت : إنما فلانتدب لتدريس علم لافتة للنظر بتقديم لكثير من نفس الطفل والفسيولوجيا أو فاللتحق الدراسات والكتب التي ألفها تلاميذه . فإذا به يكتب التقديم في جدية به، وأخرجت استقالتى من جيبى، فقد و موضوعية وعمق مقدمها فيه رؤية له كنت وبالفعل عازما عليها درءا للمرارة حول الكتاب وموضوعه هي فى حد ذاتها إضافة أصيلة يزدان بها المؤلف، ويرجع إليها الباحثون والدارسون: ومن حسن الحال أنه جمع معظمها ونشره قبل وفاته ببعض سنين، ضمن كتاب المجمع "في النفس" الذى نشرته دار النهضة العربية ببيروت عام ١٩٨٦ .

زملائى فيه ..

وينتقى زبور من تلاميذه بضعة يرى بخبرة المحلل وحدسه ونفاذ بصيرته ملاحيتهم للتدريب على ممارسة العلاج النفسي والنجاح فيه، فيشجعهم على ذلك، ويتعهد لهم بالتدريب المتواصل، ويناقش معهم الحالات ويوجههم في علاجها، ويرشدهم إلى أفضل السبيل لتحقيق العلاج الناجح . وأنكر أنى عندما ترددت في الاستمرار في علاج حالة طالبة كانت تراودها فكرة الانتحار بين الحين والأخر، مخافة أن ترتكبه أثناء فترة علاجي لها، وأردت أن أتوقف عن علاجها تاركا لزبور أمر تحويلها إلى غيري يكون أقدر وأكثر خبرة وتمرساً وكانت الحالة تعانى من عصاب الوسواس القهري)، رفض أستاذى أن ينفع زبور في إنسانية وأبوبة يوافقنى على ذلك، وشجعنى على

الاستمرار في علاجها بقوله إن المريض في مثل هذه الحالات العصبية يستحيل عليه أن ينفذ فكرة الانتحار أثناء فترة العلاج طالما كان المعالج جاداً مخلصاً، صاحب حسمير مهني وخلق قوي.

انفعالات من الخوف والرجاء ، والحب والبغض ، والسعادة والتعاسة ، وعلى ميلو من الخير والشر ، ومن البناء والتدمير.. فها هو يكتب في الوجود والافتراض ، والتصب ، والقلق العصبي ، والاكتئاب النفسي ، والربو الشعبي ، والحساسية ، وتعاطي المخدرات ، والقمار ، والنسيان ، والتخيل ، والأحلام ، والحب ، والصوفية ، وانحراف الأحداث ، والأباء المشككين ، والمعرفة والشفاء ، وعلاقة الطبيب بالمريض... .

أما طريقة في تناول موضوعاته ، فعلاوة على عمق المعالجة العلمية ، ورصانة الأسلوب اللغوي الأدبي الممتاز ، فهي تعلي من القيم الإنسانية النبيلة والبناء ، وتدعو للحق والخير والجمال ، وتبتين عن انشغال بهموم الوطن الجامع والإنسان الفرد ، وترسم طريقاً لتحقيق سعادة الإنسان ، وتحريره من اليأس والألام.

جزاء الله عما قدمه لوطنه

ولتلاميذه خير الجزاء ، وتولاه الله برحمته وغفرانه . وألهمنا الصبر على مصلنا إلى مأكتبه زبور وأمعنا فيه فراقه.

الاستمرار في علاجها بقوله إن المريض في مثل هذه الحالات العصبية يستحيل عليه أن ينفذ فكرة الانتحار أثناء فترة العلاج طالما كان المعالج جاداً مخلصاً، صاحب حسمير مهني وخلق قوي.

وهكذا ، كان زبور يشجعنا ويدفعنا دفعاً إلى النجاح . يفخر بكل منا وبشيد به في غيابه . فهو المحلل الكفاء الذي يبصر خفايا الدوافع والانفعالات ، ويلمع مكنونات النفس ويكشف أسرارها مراوغاتها ، كل ذلك في ذاته أولاً ، ثم في غيره ثانياً . وبالتالي يستطيع بمهارة الحكيم ، وحنكة الخبرير ، وحدس المحلل أن ينبع في فهمها وقيادها فيحقق أكبر النجاح معها . ومن هنا نجح زبور في اعتبار تلاميذه امتداداً له وأبناء أعزاء يدفعهم دفعاً للنجاح والتقدّم ، ويفرح كلما وجدهم يحققون نجاحاً تلو نجاح ، إذ يعتبره نجاحاً ذاتياً له ولرسالته . في حين نظر كثير غيره إلى تلاميذه حباً باعتبارهم منافسين لهم ، فكانت الغيرة منهم ، ومحاولة هدمهم ، والحيلولة - بوعي أو بدونوعي - دون تقدمهم وتنفتح إمكانياتهم واستكمال نضجهم وعطائهم .

هكذا تسود النزعة الإنسانية مواقف زبور وجوانب شخصيته ، حتى إذا وصلنا إلى مأكتبه زبور وأمعنا فيه فراقه .

مصطفى زبور:

ذكريات لا تغيب

أحمد فائق

المحلل النفسي بكندا

هناك قلة محظوظة تضعها الظروف
فى طريق شخصيات فريدة . ومن بين
هذه القلة ندرة تتبع لها إمكانياتها
وطبيعتها الخاصة أن تفتتن فرصة
التعرف على مثل هؤلاء النادرين فتثير
نفوسها وترقى فى آمالها وطموحها .
فتلك الشخصيات الفريدة تشع من
حولها جواً خاصاً من التميز والرقي
العقلى والخلقى، فإذا تصادف وكان من
حولها من أراد لنفسه مثل رقيها انجذب
إليها وان فعل بها، كما تتميز هذه
الشخصيات بقدرة على العطاء الكريم لا
يحده إلا قدرة المتعلقى على التلقى، فإذا
تصادف وطلب منها أعطت فائزى من
طلب وقدر قيمة المطلوب. وقد

وضعتني الظروف فى طريق مصطفى
زبور . وأتاحت لي تركيبة من مزاج
شخصى واستعداد فطري أن أثرى بتلك
المعرفة وأن أغتنم من كرم شخصه بما
فاض عن حاجتى أحياناً فماكنتنى أن
أمنحه بعض من عرفت، ولا أشك لحظة
فى أن قدرتى على استيعاب منحه
كانت أقل من قدرته على المعنى . فكثيراً
ما تعود بي الذكرة - وقد تقدم بي
العمر- فاجدتنى قد أضعت بعض الفرص
الثمينة التى أتاحها لي ولم أغتنمها،
كما كان يجب الاغتنام.
تعود معرفتى بمصطفى زبور إلى
عام ١٩٥٢. ففى ذلك العام أفتتح بجامعة
عين شمس أول قسم للدراسات النفسية

المعرفة والمحترفين لها كمهنة . لذلك وفق زبور فيما لم يوفق فيه غيره . لقد عرك معرفة النفس في منيتها الفكرى الفلسفى، وانطلق من ذلك المعتبرك إلى الطب النفسي ليخبرها فى مرضها وعلاجها، ولكن لم يرض بما يقدمه المنهج البدنى للنفس من فهم لها فاتجه إلى التحليل النفسي ليكمل معرفته بخباياها وأسرار مرضها وشفائها . وبذلك كان أول من أدرك القيمة العلمية لعلم النفس فى مصر وأول من اتجه فكره ووجدانه إلى إنشاء قسم يتخرج فيه علماء نفس يتذلون من علم صنعة وحرفة . بعبارة أخرى، لقد احتاج ميلاد قسم مستقل لعلم النفس إلى عالم نفسي يدرك أبعاد عصره ويفهم مستقبل علمه وينتقل بوجдан ما فى هذا العلم من إمكانيات تطبيقية .

يعلم الجميع أن مصطفى زبور هو رائد التحليل النفسي فى العالم العربى . ويعلم الجميع أنه بزيادته هذه لم يكن بحاجة لأن يكرس جهوده لإنشاء قسم أكاديمى لعلم النفس . فقد كان يكتفى أن يصرف جهده فى تدريب غيره على التحليل النفسي فينشر فكرة ويكون لنفسه جماعة من الحواريين والاتباع وما كان أسهل عليه من ذلك . ولكن ، ولدهشة الجميع، تقدم بمشروعه لإنشاء قسم لعلم النفس بكلية الآداب . وأنذر أنه قد قال لى بأنه عندما

بالعالم العربى . وكان مصطفى زبور هو صاحب الفكرة ومخطط المشروع ومنفذه ولم يكن ذلك بالأمر البسيط . لقد كان علم النفس حتى ذلك الوقت جزءاً من الدراسات الفلسفية، بل لقد وصل الأمر من التغافل الأكاديمى أن فصل علم الاجتماع عن الدراسات الفلسفية فى قسم مستقل دون أن ينظر فى أمر علم النفس كعلم مستقل وكان كل ذلك بالرغم من وجود أستاذ عالم فاضل تخصص فى ذلك العلم هو «يوسف مراد» . لقد احتاج ميلاد علم النفس فى الشرق العربى لشخصية تتوفى فيها ما لم يتوفى حينذاك لغيرها . وكان ذلك الشخص هو مصطفى زبور . تخرج زبور فى قسم الفلسفة ، وسافر إلى فرنسا ليستكملا دراسته ولكنه انعطف إلى دراسة الطب . وما أن فرغ منها حتى هدت أقدامه مرة أخرى إلى النفس البشرية فتدرّب على التحليل النفسي كما فتح مداركه لعلم النفس من زاوية عملية كان علم النفس فى تلك الفترة التى أعد فيها مصطفى زبور نفسه للإشتغال والإنشغال بالنفس علمًا يتحمس طرقه إلى مجال الحرف وـ "الصنعة" وـ "المهنة" . كان علم النفس قد فصل نفسه تدريجياً عن كونه معرفة مكتبية تصلح لأن تكون فرعاً من الفلسفة، ليصبح معرفة ميدانية تبشر بميلاد المشتغلين بتلك

تقدم بمشروعه إلى إدارة الجامعة حينذاك، أصيّبوا بهدفة لتوقعهم بأنه سوف ينشئ قسماً للتحليل النفسي. وكاد مشروعه أن يفشل لولا قدرته على إيضاح الأمر لمن عناهم الأمر. لقد كان من المتوقع أن ينشئ زبور قسماً لهذا الفرع من المعرفة. وكان من المتوقع، وهو تلك الشخصية النفاذة، لا يتبع الفرصة لغيره كى يؤثروا في التيار الفكري الذي تبناه ولكن مثل تلك الشخصيات التي أراد لها قدرها أن تكون رائدة ومتميزة، تبني على معادن نفيسة تظهر ملابتها في مواطن الإغراء. كان من المفترى لمصطفى زبور أن يحول الحرية التي أعطيت له إلى مفنم خاص فينشأن قسماً للتحليل النفسي لا يدرس فيه إلا ما يصب في وعاء التحليل النفسي. وكان من الميسر له حينذاك أن يختار من يعاونه من بين من لا يؤمنون بغير فكره. ولكنه كان أكثر ولاءً لacademy منه إلى ذاته وتزوعه الشخصي. كان مصطفى زبور قد قرر لقمه أن يكون جزءاً من الأكاديمية وليس مرتفعاً لطموحة الخاص.

ضم برنامج القسم مداخل العلوم والفلسفة، كما ضم فروع علم النفس التجريبى والقياس النفسي. وضم كذلك تلك الدراسات التي لا غنى عنها هذه المقدمة التاريخية لدور زبور فى علم النفس المثقف مثل الإحصاء

تحفى على من لم يعرفه معرفة شخصية. أن الخلاف بين المحلول النفسي وعامل النفس التجاربى خلاف يتعدى حدود المعرفة ذاتها ليصل إلى مشارف الذات ونرجسيتها. فعامل النفس التجاربى لا يؤمن إلا بما يحس فيقياس، ولا يعرف لذلك سبيلاً إلا بضبط ظروف ما يريد معرفته وقياسه. كذلك تتركز نرجسيه المجرب في إحكامه ظروف عمله وفي إنكاره لدور نزعاته الشخصية في نتائجه. بعبارة ثانية، تتركز نرجسيه المجرب في انزعاله عن تجربته أما المحلول النفسي فيؤمن بأن حسه وقياسه ليسا بمقدمة عن عوامل مضللة عده، بعضها فيما يحسه ويريد قياسه وبعضها في ذاته هو كحاس وقياس. لذلك تتركز نرجسيته في قدرته على كشف هذا التفصيل بصورة مستمرة ولقدرته على أن يكون جزءاً من التجربة دون أن يفسد مشاركته فيها ما يجب أن يخرج به منها. بعبارة أخرى تتركز نرجسيه المحلول في عدم رفضه لأن يكون المجرب والمحب عليه في نفس الان. لذلك يتعدى الخلاف بين المحلول والمجرب حدود المعرفة لأن خلاف بين نرجسيتين متضادتين. وهنا ما يثير تساؤلاً هاماً بصفة مؤلف هذا الكتاب. كيف تأتى لمصطفى زبور - لذلك المحلول الذي انفهم في ذات مرضاه

الدراسات العليا . كان مصطفى زبور أكثر إصراراً على أن تكون الدراسات العليا في القسم ذات صبغة تجريبية ومهما كان نزوع الطالب في مجال تخصصه، لقد أثار إصراره ذلك في بعض النقوس حنقاً وغضباً. ولم يدرك الحانقون الغاضبون حكمته هذه إلا بعد أن استجابوا لإصراره. وكنت أنا من أكثر الحانقين غضباً. لقد أردت- كما أراد بعض غيري- أن أنتجه إلى مجال غير تجريبى في دراساتنا العليا وإذاء إصراره تقدمنا برسائل تجريبية لـ تيل شهادات الماجستير والدكتوراه وهو آنذاك أعود إلى الوراء لأدرك حكمه هذا الرجل في إصراره، كانت فترة الدراسات العليا هي الفترة التي نسج فيها العالم فيينا. فقدون الخبرة التجريبية ما كان يسهل علينا أن ندعى علمياً بالنفس أو ندعى رفضاً للاتجاه التجريبي إذا كان ذلك الرفض أمراً أرداه. بعبارة أخرى، لقد أراد لنا مصطفى زبور أن ترقى بمعروقتنا التجريبية حتى إذا اخذنا موقفاً كنا في ذلك الموقف صادقين مع أنفسنا. ولم يكن لمثلى وأنا من المعترضين على أمور في التجريب، أن يعترض بلغة من لم يكن قد خبر هذا المجال كما يجب أن تكون عليه الخبرة.

أود بتلك النبذة التاريخية أن أبرز جانبًا في شخصية مصطفى زبور قد

دون حرج أو جل - أن يرأس قسماً يرسى تقاليد الموضوعية والقياس والانعزال عن مادة البحث بما يسمع بالتجريب عليها دون تأثير من الباحث كيف تأتى لمصطفى زبور المحلول أن يرأس قسماً لعلم النفس وأن يرأس مجموعة من علماء النفس التجاربيين المتخصصين.

لا يصعب على من عرف مصطفى زبور معرفة شخصية بأن يجيب عن ذلك بأنه ظاهرة أصلية في الموضوعية. لم يكن زبور موضوعياً بمعنى مبتدل. فهناك موضوعيون تتبع موضوعيتهم من حيث مصطلح جاف، وهناك موضوعيون لا تزيد موضوعيتهم على رياء وتكلف. أما زبور فكان صاحب انفعال شديد بفكره (بكل ما تعنيه دالة الانفعال). ولكنه ما حرم أحداً عرفة من اتخاذ نفس الموقف بالنسبة لفكرة، بل رأيته في أحيان كثيرة مهموماً لعدم ثبات معارضيه على رأيهم وعدم انفعالهم بعقيدتهم. لقد كان زبور أكثر الناس حرصاً على إعلان التزامه بفكرة مستنكرة في معارضيه حرصاً مقابلأ على التزامهم بفكرة. ولئن معه في ذلك خبرة شخصية أذكرها لإبراز موضوعيته في بعدها العميق. ولست متحرجاً من ذكر تلك الخبرة الشخصية لأننى موقن بأننى لست الوحيدة من جدلى مع مصطفى زبور فى نفسي: الأسكن إلى الاعتقاد دون أن أجادل فيه

جنسيّة تؤرقه وتشتت خاطره. لقد أراد مصطفى زبور أن أجادل نفسيّ لي مصطفى زبور أن أجادل نفسيّ مهما بدأ لى الأمور واضحة. أراد لي جدلاً لا ينتهي مع من يخالفني ومع من يوافقني . لقد تعلمت منه، وأنا الجلدي عقيدة وفكراً والتزاماً - معنى ما التزمت به كمنهج و موقف من الحياة.

مصطفى زبور، أكاديميّ موضوعي مصطفى زبور، أكاديميّ موضوعي

غيري فإن لم يكن فلأجادل فيه نفسى فاما أن ترضى وأما أن تأبى، أما أن تنجح في إرساء، وأما أن تخلى عنه غير أسف . هكذا كانت موضوعية مصطفى زبور، إن لم يجد من يقيم معه حواراً خلق في نفسه ذلك الحوار وكان فيه أشد قسوة على هنات الفكر من أي معارض يقابلها .

كان لهذا الدرس أثر لا ينمحى في تطوري كعالم نفس و محلل نفسى . فعالمن النفس الأصيل لا يقبل فكره أن ينزلق إلى مدارك التصديق على مطلوب ، كما أن المحلل النفسي لا يقف في فهمه عند حس يخدعه ويده بفهم مبتر .

ففي بداية حياتي العملية ذهبت إليه بحالة شاب يعيش مع أسرته الكبيرة في سكن محدود بحي شديد الضجيج ، وكان الشاب قد أتى يشكو من عدم قدرته على التركيز في دراسته لظروف سكنه وكثرة الحركة في بيته . وأردت بعرض تلك الحالة على الاستاذ أن أبين له كيف تحد الظروف الاجتماعية من قدرة عالم النفس على تقديم المساعدة . ونظر إلى في دهشة قائلاً: إذا كانت مشكلة هذا الشاب اقتصادية أو اجتماعية كما تود أن تقنع نفسك، فما الذي دفعه لطلب مساعدة إخصائني النفسي . وعدت إلى مريضي بذهن متفتح لاكتشف كيف خدعوني حسني وقداني للتتفاوض عن مصارعة هذا الشاب لنزعاته

السافر- الجامع أحياناً- لحماية أحد أبنائه إذا شعر بأن ظلماً قد وقع عليه أو كاد، بينما هذا الابن لا زال ضعيفاً لا يقدر على حماية نفسه. وليس من النادر أن شوهد مصطفى زبور يالم من تصرفات ناكرة للجميل تصدر عن أحد مقربيه، دون أن يغير الله من إحساسه بواجب الأم إزاء ابن شط، لم يكن يتوانى عن زجر من يشط عن الطريق إذا غوى قيعيده بزجره الوقور إلى مسوابه دون إيزاء وإهانة. وأرجع تلك الصفات إلى أصوله وذلك من وجهة نظرى كمحلال نفسى. فالأم تسكن فى أعماق النفس لتعطيها جوهرها . فإذا كانت طيبة جاء البناء على طيبة أمهم الحنون، وإذا كانت على خبث سكنت فى نفوس بناتها خبئاً ومرضاً لقد جاء كل من تباهم برعايتها على طيبة وكرم وسخاء، لقد منح زبور نفسه الطيبة لتمثل (أو كما يقول آل التحليل النفسي لستدمع) فكان لتمثلها أفضل الأثر فيمن عرفوه.

أما أبوته فأكثر وضوحاً للعين. فمصطفى زبور بالنسبة لمن عرفوه «قانون واضح» يفرق بين الحق وبين الباطل، يميز بجلاء بين المسموح وبين الممنوع، ويحدد الواجب والمسئولية في غير عناه إلا أن هذا القانون أكثر من كونه قاعدة تلتزم بل هو قاعدة تحتنى. فلا أعلم شخصاً أو عن أحد أنه قد طبق هذا القانون على غيره ولم يطبقه على نفسه. لذلك كثيراً ما

يحترم فيحترم تلك الخاصية كانت
لها توجد في شخص زبور شخصية
العالم ولعل ذلك أبرز ما سوف يلاحظه
القارئ في مؤلفات زبور . سوف يلاحظ
القارئ أن علم زبور هو علمه هو وليس
علمًا منقولاً . سوفر يلاحظ القارئ أن ما
كتبه زبور كان خبرته الذاتية .

ولا أدل على ذلك من دراساته في
الطب السيكوماتي ، فبصمات زبور على
هذا الفرع تشير إلى رياضته في هذا
الميدان وتدل على امتزاج القدرة
الطبعية والمعرفة النفسية في مجال
كان - ولا زال - مدعاه للعجب
والدهشة... ولا ينقم زبور قدرته على
الاحتفاظ بعجب ودهشة العالم أمام ما
يحتاج أن يكتشف . ولكن لن يلاحظ
القارئ نطاقاً آخر من علم زبور . ففي
عشرات من رسائل الماجستير
والدكتوراه التي أشرف عليها زبور
ترك زبور آثاراً لا تمحي . لقد وضع في
كل رسالة من هذه الرسائل جزءاً من
نفسه منحه بسخاء وأعطاه لابناء
ليبنيوا عليه علمهم ومعرفتهم . هذا
الجزء من علمه - وهو جزء كبير - قد
كتب له خلود من نوع آخر . ففي كل من
تخرج على يد مصطفى زبور جزء من
مصطفى زبور يقى البعض منهم على
أرض الوطن ينقلونه جيلاً بعد جيل .
ورحل به البعض إلى المشارق
والمغارب ليجدوا من أثر هذا الرجل
إلى ما هو أوسع من الوطن . إلى كل
مكان يمكن أن يثرى من ثراء الأستاذ .

أكثر وضوحاً للعيان عما كان خلفها من
قدرة على القيادة من بعد وعلى التأثير
دون أداء .

تلك الانطباعات والذكريات تقويني
إلى مصطفى زبور العالم ، فكل ما قبل
في ميزات هذه الشخصية النادرة قد
ينطبق على قلة أخرى . ولكن عندما
تجتمع في تلك الشخصية مقدرة علمية
واسرة وأصلية كما هو الحال مع
مصطفى زبور يأخذ العلم طبعاً مختلفاً
كما تأخذ الشخصية شاكلاً مختلفة .
بالرغم من موسوعية مصطفى زبور
واتساع ثقافته فلم اسمعه يوماً يتكلّم
عن أمر أو في أمر ليس له به معرفة
شاملة وتفضيلية كان يتأنى عن الحديث
فيما هو سطحي أو التحدث بصورة
سطحية تعطي انطباعاً كاذباً عن علمه .
فضلاً عن ذلك، لم أشهده يوماً يتطرق
إلى ما هو غث وتابه من الأمور . لذلك،
وعندما أنظر إلى ثلاثين عاماً من
المعرفة به أرى تلك المعرفة شراء ما
بعد شراء فما مر بي يوم لم أستند
فيه علمًا ولم أفتئم غدى ، وأنا في
حضرته ، وبالرغم من هذا كان يقدم
عقد ما في علمه لنا في سلasse وسهولة
تکاد تفرى بالفم . فبعد أن أتيحت لي
الفرصة لتدريس بعض ما درسته عليه
تبينت ذلك الفارق الذي يفصل الأستاذ
عن المدرس . كان أستاذًا يصدر العلم
منه، أما المدرس فكان العلم يصدر عنه .
ففي محاضراته كان نسبتمع إلى مصدر

المُتَخَيَّلُ فِي خَبْرَةِ

الْحَشِيشِ فِي مَصْرٍ^(١)

سامي على

الأستاذ بجامعة باريس ٧

ومدير وحدة الأبحاث النفسجية بجامعة باريس

رأس مصطفى زبور هيئته بحث المخدرات بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية من عام ١٩٥٧-١٩٦٥، وصدر التقريران الأوليان عن البحث تحت إشرافه في مجلدين (١٩٦٤-١٩٦٠)، ولقد أسمه الاستاذ الدكتور سامي على في مراحل البحث الأولى عندما كان أستاداً بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، وكان طبيعياً وهو يخلق بعلمه في سماء باريس وأوروبا بعد أن استقر به المقام أستاداً بجامعة باريس ٧ ومديراً ومؤسسأً لوحدة البحوث النفسجية بها، أن ينشغل بيده مصر، ومشاكلها النفس-اجتماعية، فكان من أوائل إصداراته بالفرنسيه «الْحَشِيشِ فِي مَصْرٍ، مَقَالٌ فِي عِلْمِ الْإِنْسَانِ التَّحْلِيلِيِّ» (بايو ١٩٧١، دينو ١٩٨٨)، وقد ترجم بنفسه الجزء التالى من كتابه من صفحة ٦٢ وحتى صفحة ٧٨، ونشره تحية وذكرى للراحل- الحاضر دوماً مصطفى زبور.

بهذه المثابة يفقد كل مایمیزه، ويختفى وراء معنی لا يُفهم إلا بالإشارة، شأن أى نصٍ باطنیٌ فالسر إذن ظاهر جهراً، لا يفطن إليه إلا اللبیب.

واستخدام اللقطة بصيغة المفرد، «حشيشة»، يتضمن التعبير عن مضمون وجداً، لا ينفصل عن لغة التصغير ذاتها. وقد تُحول كلمة الحشيش أحياناً إلى «حسيس»، مما يدعو إلى الابتسام، لأن استبدال الشين بالسين يميز بعض لهجات الريف في مصر، فضلاً عن دلالة على الرجل «الحسيس»، أى ذى الحس المرهف. ومن العالوف أيضاً اللجوء إلى الإشارة للدلالة على الحشيش دون تسمية، فيدعى، إذاك به الحنة».

وحين يُمزج الحشيش بالأبهة والمریب، يُسمى به المتنزول، وهو اسم فعل مشتق خطأ من فعل «أنزل». والإشارة هنا إلى تنزيل القرآن في آية «إنا أنزلناه في ليلة القدر». وكان المتنزول منزلاً من السماء كالمن والسلوى.

أما الحشاش فهو من يتعاطى الحشيش تعاطياً يسبغ عليه صفات شخصية، مميزة أهمها الاستفراغ في الخيال بغير إفراط وبلاتقييد. والحكاية «الحشاشي» نكتة تستلزم في عمق الجوانب المضحكَة في مواجهة الحشاش بالواقع.

من الحشيشة السحرية تستطرر المخيلة الشعبية، كما دعتها في مصر، ضرباً من الفکاهة تجمع فيه بين المتباينات والخيث. وهي في ذلك تنبع في البعد عن موضوعها بعداً مُمثل يُتيح لها التعبير بمزيج من التهم والرقعة عن جوهر خبرة لاتخلو من الرعب. وهنا تجلّى قدرة على ابتكار النكات، كثيراً ماتختلف في وراء الموضوعات التي تخلّقها، وهي لاتزال تنقل هذه الخبرة نقلأً غير شخصي، ماكراً وسانجاً في آن.

ولසير هذا البعد، سوف ندرس ثلاثة ظواهر متراكبة أو ثق الارتباط: مركب الكلمات التي تحدد المجال اللغوي خبرة الحشيش، شخص الحشاش كما يتبدى في تراث الفولكلور، وأخيراً النكات التي يكون الحشاش بطلها.

ويجب التنبيه أولاً إلى أن اللغة المصرية الدارجة غنية بالمعصطلاحات والتعبيرات للدلالة على المخدر وأثاره، متخذة في ذلك سبيل المجاز الذي تنتهي خلال الأوصاف الحرفية ذاتها.

فلتبدأ بكلمة «الحشيش». هي كلمة مزدوجة الدلالة، تستهدف كشف موضوعها وإخفاءه في الوقت نفسه. فهي تعنى أى عشب بشرط أن يكون له مظهر العتيب البري النابت في الصحراء أو على ضفة النهر. والخشيش

اللغة تميز التخدير عن السكر، مستخدمة في ذلك تعبيرات ذات مذاق، واللهجة المصرية تدل بفعل «سطّل» على نشوة التخدير وغياب الشعور. و«المسطول» يوصف بصفاتٍ متخيّلة تصف حالة اللذة السلبية التي يُعانيها. فيقال عنه إنه «متريس» وإنه «قفل» وإنه «متيس»، وكلها أوصاف لغيبة الخيال لديه غلبة تؤدي إلى انفلاقه عن العالم الخارجي. وهو انفلاق يصحّبه ظهرت فيه.

أما الأصل فهو مرتبط بدخول الحشيش إلى مصر إبان النصف الأول من القرن الثالث عشر، وانتشاره انتشاراً سريعاً بين أكثر الطبقات فقراً. فكان يأكله الصعاليك والمتصوفة، وكان يُسمى به «حشيشة الفقراء». وجاء المقريزى بعد ذلك بقرن فووص زرمه وتعاطيه لدى من يسمّيه تسمية لاتخلو من التعالي به أرذل الناس». «أرذل الناس» هؤلاء وإن فقدوا كل شيء فهم لم يفقدوا ملكة الحلم، والحلم دخول في عالم معجب، خارج الزمان، تجد فيه المتناقضات حلاً داخل كل مُتخيل. والتمزقات تختفى عندما تعبّر عنبة الممكن. إذاً تظهر صور فيها نقل وتصويب للواقع، رغم عدم نسبتها تضخم الشعور بالذات تضخماً نجد أثره في اللغة الدارجة التي تصنف «المنسطل» بأنه «سلطان زمانه». وسيعرف أرجوك فيما بعد إلى درالة هذا التوحيد بين الحشاش ورمز السلطة الزمنية.

واللغة وإن كانت ثرية في وصف حالة التخدير، فإنها تبدو متحفظة في دلالتها على الخروج منها. ففعل «فاق» يدل أصلاً على التحول من حال النوم إلى حال اليقظة، ومن اختلاط الشعور إلى وضوجه. وأما حالة افتقاد المخدر فيطلق عليها اسم «خرمان» وهو قد يكون مشتقاً من فعل «خرم» أي ثقب، كما لو كان الأمر يتضمن فقدان الطاقة الذاتية وتبدلها خارج الذات.

هذه الأمارات المقوية تحدد كلها ملامع شخص يكشف التراث الشعبي عن قيمته الاجتماعية الحقة، بوصفه فرداً قابلاً على الاستدلال المنطقي رغم الواقع. فهي صور حافظة لأحداث منسية من الماضي، استحالات استحالات سرية ولطقوس قديمة فقيرة المعنى. صور تورخ تاريخاً أسطورياً

صادقاً وإن كان غير ذى صلة بآى تسلسل زمني. والأدب الشعبي، وخاصة «ألف ليلة وليلة»، يعطى مفتاح هذا العالم الذى تجد فيه خبرة الحشيش مكانها بين أحداث حياة ألفية وغريبة معاً.

ولاريب فى أن أصل كتاب «ألف ليلة وليلة» ليس مصرياً. ولاريب أيضاً فى أن البناء الزمني الدائري الذى يمپز شكل القصص فيه (القصمة داخل القصة، داخل القصبة...) وكأنه لمحات من الأبدية خلال حركة زمنية كفط عن الحركة، كل ذلك يعبر عن حساسية عميقة لشعب يتوجه بطبيعته إلى ماوراء الأحداث الزمنية، والكتاب مصدر مباشر عن القصص الشعبى الذى يُحكى ولا يكتب، بحيث، تجد مضمونه فى تغير دائم خلال العصور: قصص تتغير وأخرى تختفى، وأخرى تحل محلها، دون أن تكتفُ المخيلة الشعبية عن خلق الجديد. فنحن إذن إزاء كتاب فريد، يستهدف إلغاء الزمن باستخدام الزمن، كتاب صادر عن الانبهار بالموت، عاملٌ على السيطرة عليه فى الآخر نفسه.

والقرابة ما بين «ألف ليلة وليلة» و«كتاب الموتى»، قرابة حميمة، فكلاهما تساوّل جذرى وعبر شخصى لا يتوقف.

فثمة كتب لاكاتب لها بالطبع.

تحكى شهرزاد⁽²⁾ حكاية فلاح فقير أهدى السلطان سلة من الفاكهة الجديدة الإثم، فبذل له السلطان العطاء وأبدى

إعجابه «بفضاحته» وانطلاق لسانه وطلاؤه حديثه وحضور بيته؛ وكلها صفات تجعل منه قصاصاً بارعاً سرعان ما طلب منه السلطان نخيرة من الحكايات «التي يحلو قصها ويطيب سماعها». وأول ما حكى الفلاح حكاية «رجل مهنته الصيد وشغله الشاغل تعاطى الحشيش». وتبدأ المغامرة ذات مساء مقمر، جاور فيه كمية الحشيش المعتادة يومياً، فخرج يستنشق الهواء على ضفة النهر. فإذا هو ضحية وهو من أوهام الحواس جعله يعتقد أن نور القمر المنعكس على الأرض المعبدة هو هذا النهر. ثم إن الأحداث وإن تعاقبت تعاقباً منطبقاً لم تفلح في تبديد هذا الوهم الأولى. فمخيلته المفرطة أوحت إليه قائلة: «والله يامسياد فلان الفلاني، ها أنت قبل النهر ولا صياد غيرك على شطه. فما عليك إلا أن تأتى بقصبتك وتصيد وسوف ترزق هذه الليلة إن شاء الله. هذا مجال بخاطره وهذا مانذذه. فلما أتى بقضبته، جلس على حاجز والقى بالخيط والشخص المطعم فى بقعة النور المنعكس على الأرض المنساء».

ما أغربها من طريقة لصيد السمك، وإن أدت إلى صيد غير متوقع! فقد مر كلبٌ وابتلع الشخص بطعنه، فاختتنق وأخذ يشد الخيط لكي يفك قيده، والخشاش ينزلق حثيثاً على الأرض.

عاجزاً عن مقاومة هذه السمكة الممتعة
مائة سنة.

ولما ناب الحشيش في مخيهم،
بدت بيوتهم الطبيعية لا يجد لها حدّاً.
فتعريباً وأخذوا يرقصان وينغذيان
ويأتيان بغرائب الأفعال».

وشاء القدر أن يمر السلطان
وزيره متذكرين على عادتهم في ذي
التجار، فاسترعاهم ما يصدر عن
البيت من شغب وضجيج، فدخلوا ووقع
بصريهما على الحشاشين. وهمس
السلطان في آذن وزيره: «تالله، إن
قضيب قاضينا لأصغر من قضيب
صاحب الأسود». فالتفت الصياد إليه
قائلاً: «مالك تهمس يا هذا في إن هذا
الآخر؟ إجلسا أنتما الاثنين، فهو أمرٌ
مني، أنا سيدكم سلطان المدينة، وإلا
طلبت من وزيري الراقص أن يقطع
رأسيكما لتوه. فلاشك أنكم لا تجهلان
أني أنا السلطان نفسه، وأن هذا هو
وزيري، وأن العالم في قبضة يدي
كالسمكة في راحة يدي اليمنى». وأدرك
السلطان وزيره أنهما حباب مدمنى
حشيش من أغرب طiran. فقال الوزير
بغية إضحاك السلطان: «ومنذ متى
يا سيدي أصبحت سلطاناً على المدينة؟
أ تستطيع أن تقول لي ما حدث للسلطان
السابق؟». فقال الصياد: «لقد عزلته
الموددة، وقدم له الحشيش، فتعاطياه
سوياً. وظلا يتعاطييه حتى ازدردا منه
ما هو كافٍ لقلب فيل على ظهره عمره

أعمق النهر الذي جرتني إليه، النجدة
يا أهل النجدة، بالله عليكم، فإليني
غريق». فأنسرب حراس الحمى ووقفوا
مذهولين حباب هذا الفرق الخيالي.

وسأله: «من أنت يا صيادي؟ وعن أي نهر
تتحدث؟ وما هذه السمكة؟» فأجاب
الصياد: لعنكم الله يا أولاد الكلاب! لهذا
وقت المزاح أم وقت إنقاذه من الغرق
وإخراج السمكة من الماء؟ وأما
الحراس فكفوا عن الشخص وانقضوا
عليه غاضبين من شتيمته لهم بأولاد
الكلاب فأوسعوا ضرباً وقادوه إلى
القاضي.

«وقد أراد الله أن يكون القاضي من
إدمى الحشيش». فما لبث أن صرف
الحراس بعد تأنيبهم وأوى ضيفه
الغريب المسلك.

«وقضى الصياد ليلته في راحة
النوم، واليوم التالي في متعة الأكل، ثم
دعاه القاضي للقيادة مساءً، واحتفى به
غاية الاحتفاء وعاملة معاملة الأخ. وبعد
العشاء، أجلسه بجانبه أمام الشموع
الموددة، وقدم له الحشيش، فتعاطياه
سوياً. وظلا يتعاطييه حتى ازدردا منه
بل سره أن أخلصه من عبء الحكم.

لذلك كافأته وأبقاها فى خدمتها، فإن ندم على استقالتها، سريرت عنه بحكايات أحكيها!»

وفي ذروة هذا النظام السياسى المتعسف، أتيحت للصياد فرصة إبداء أن الحس الفكاهى قد يكون عاملاً حاسماً في حل المشكلات العملية، مستخدماً اللامعقول لغض نزاع أساسه اللامعقول.

فقد عُرضت على كبير الوزراء قضية فلاح استولى على عجل جاره، تاركاً له مهراً في أسوأ حال، وادعى أن فرسه قد ولدت عجلاً بأمجوبة، وقبل الفلاح: «يا سيدي، من الشائع المعروف أن العجل ولدته فرسى وأن المهر ولدته بقرة هذا الرجل!» فأجاب الوزير: «أصبح الآن أن البقر قد تلد الأمهار وأن الأفراس قد تنجب العجول؟ ذلك مالا يقبله من له ذرة من العقل». فأردف الفلاح: «يا سيدي، ألا تعرف أن لاشيء ممتنع على الله الذي يخلق ما يشاء، ويبذر في أي أرض يشاء، وأن المخلوق ماعليه إلا القبول والاستسلام والحمد؟». وهي حجة زانفة سوف يستخدم الوزير ما يناظرها لتبين خطئها المنطقى.

«أمر الوزير بإحضار فار وسقط كبير من القمح. وقال للخصمين: «راقبا بانتباه ما سوف يحدث ولا تبوحا بكلمة». ثم التفت إلى الخصم الثاني وقال له: «أيا صاحب العجل ابن الفرس،

فعين الحشاش وزيراً ثم كبيراً للوزراء. وأردف الصياد: «لى رغبة ملحة في التبول»، فرفع قضيبه الذي لا ينتهي، واقترب من السلطان وتظاهر بالتبول عليه. وقال القاضى: «وأننا أيضاً أرغب فى التبول»، واقترب من الوزير، مقتفياً أثر الصياد. وعندئذ أسرع السلطان والوزير بالهرب وهما لا يكفان عن الضحك».

وفي اليوم التالى استدعى السلطان القاضى وضيفه وأفهمهما تلميحاً أن تاجرى الأمس ليس إلا هو نفسه والوزير. فارتدى القاضى على الأرض طالباً الصفح، وظل الصياد غير مبال نتيجة لتآثير الحشيش. ورد على السلطان بقحة: «ماذا علينا، إن كنت أنت الآن فى قصرك، فقد كنا بالأمس فى قصرنا!» فسر السلطان جداً من سلوكه و قال له: «يا أمكر من ضمته، مملكتى، مادامت سلطاناً وأنا سلطان، ثابق معى فى قصرى. ولما كنت تتقد حكاية الحكايات، فشنف أذنى بحكاية منها». وهكذا أصبح أكل الحشيش ثانية ما لم يكفَ عن كونه منذ البداية: قصاصاً لا تناسب مخيلات. وهنا يقص على السلطان خمس قصص فيها ستمر ودعاية ونيل من القاضى وجبارى الضرائب. وبلغ سرور السلطان غايتها

خذ سقط القمع وحمله على ظهر الفار!». أساسه عين الإنية المتختيلة. بيد أن هذه القصص المتداخلة إنما تكرر إلى ما لانهاية الموقف نفسه، الذي يتميز بأن شخصاً (شهرزاد، ثم الفلاح، ثم الصياد) يتولى تسليمة السلطان بحكايات تحكى لتسليمة سلطان بحكايات تحكى لتسليمة سلطان... إلى غير نهاية. ويتعمّن الأن تحليل هذه العلاقة التي تزدوج فيها الحدود نفسها، من وجهة نظر التاريخ. عندما بدأ انتشار الحشيش، كانت

فصال الرجل: «كيف أستطيع وضع هذا السقط الضخم على ظهر الفار دون أن أهرب الفار؟» فاجابه الوزير: «يا قاتل الدين، كيف تجرؤ على الشك في قدرته تعالى الذي جعل الفرس تلد عجل؟» وأمر الحراس أن يقبحوا على الرجل لما أبدى من جهل وعدم إيمان وأن يشعّوه ضرباً. وأعاد للخصم الأول العجل مع أمه ووهب له العهر مع أمه أيضاً.

وهكذا تنتهي هذه الدورة من حكايات الحشيش ذات الأصل المصري الوثيق. وفي داخل هذا البناء المعين للحكايات ككل، يبدو متعاطفي الحشيش شخصاً خيالياً خالقاً للخيال. وحين تفرغ بخيرته من القصص الطلى المغارب، يعود إلى الواقع لكي يؤدى وظيفته بوصفه كبيراً للوزراء. والواقع هو في الحقيقة واقع متخل، فالحشاش ليس الصياد الذي كان، وهو في الان نفسه عنصر من عناصر حكاية الفلاح التي تنسي في نهاية المطاف.

وال موقف يشبه مرايا يعكس بعضها بعضاً. لذلك كان للموقف مقابل له البناء الدايري نفسه: فالسلطان كالحشاش يظهر داخل دوائر متداخلة من الروايات يشغل فيها المركز والمحيط على التوالي. فهو بهذه المثابة صورة أخرى للحشاش لها وجود بالعربيّة الفصحى، تقلب فيها المحسنات البديعية وتخلو من آية طفرة خلاقة، وشّمة من ناحية أخرى مخيلة شعبية ملهمة تستخدم العامية استخداماً حياً قوياً. مخيلة تعبّر عن صور تبدو هامشية بالنسبة للأدب الرسّي، فيها تتعكس روح شعب مصر

فالعبد هو من يتمكن بقدرته على إثبات وحدته ودوامة حيال كل اللغوية من إبهار السيد والسيطرة عليه بهذا الإبهار، فإن كان العبد من أكلة الحشيش، ثم التكافؤ بيته وبين السيد بطريق ساذجة وطبيعية فهو ذاته يصبح سيداً، «سلطان زمانه»، بحيث يستطيع إطلاق العنان لداعم عدوانية جنسية الصبغة تستهدف النيل من موضوعها نيلًا مضحكاً (المسياد يتظاهر بالتبول على السلطان المتنكر). ومن هنا عواطف تميز علاقة الحشاش برمز السلطة، تمتزج فيها الرغبة في الجذب وإرادة الإيذاء. وبأن عكاس جدلية السيد والعبد في اتجاه الأخيلة، ينكشف الدافع اللاشعوري الذي يحركها: منافسة أو ديببة بين خصميين متعدلين رغم اختلافهما.

و داخل هذا الصراع الذي يعتمل في صمت، يقوم الحشيش بدور إلغاء الاختلاف، شأنه في ذلك شأن الحس الهزلي، ولئن كان ذلك لا يحل الصراع فهو ينبع على الأقل في تجريد الصراع من جديته. فبالضحك تنطلق طاقة انفجارية لاسبيل إلى إخوانها: النيل المتناقضة تتحرر دون تغيير للعلاقة بين القوتين في مستوى الواقع. فالجل إذن حل متوسط، يحتفظ بالبعد نفسه بين الحائز وموضعه وهدفه المعتمد. والعمل الخيالي يحقق هذا المطلب المتعدد من حيث أنه يهدم العالم لكي

على إثبات وحدته ودوامة حيال كل التدخلات الأجنبية.

وخصص الحشيش تبدو في هذا السياق التاريخي الخاص، وكانها محاولات لحل مصراع بين المعدمين والسلطة التي تتجسد في شخص السلطان، وهو صراع يتمثل في موقفين على طرقى نقىض: خصوص يضفى على الهرم الاجتماعي معنى قدر لاسبيل لرده، أو تمرد واع ببطلان كل نظام أصله الظلم. والقولوكلور الريفي في مصر ما زال محتفظاً باثار هذين الاتجاهين الصادرين عن نظرة واحدة للعالم. غير أن كتاب «الف ليلة وليلة» يشهد بأن موقفاً ثالثاً ممكن وإن كان صعب التصور: تزويب معطيات المشكلة في لاذع النكات. لذلك نجد أن جدلية السيد والعبد كما يصفها هيغل تلقى هنا صدى غير متوقع: فبدلًا من أن يؤدي الصراع من أجل الاعتراف بالذات إلى إعاقة توزيع القوى في مستوى الواقع، ينتقل الصراع نفسه على العكس من الواقع إلى مجال الحلم. وهذا النفي المتخيّل ليس هرباً خارج التاريخ، بل هو وسيلة يرفض بها العبد الاعتراف بأنه عبد، إزاء سلطة السيد المطلقة. وهو ما يتوصل إليه من خلال م الخليفة تخلق أعمالاً تتلاشى فيها تدريجياً المسافة التي تفصله عن قمة الهرم.

يعيد بناءه. وفي هذا العمل يتحول السياسي والاجتماعي، أصبحت الغلبة للصراع إلى عنصر روائي يخلق حركة تكرارية غايتها جعل الموضوع غير ممكن الإدراك تهائياً. فالوصف يقع على موضوع ليس في النهاية إلا وهما يحل محل الواقع ويدخل في سياق نص لا مؤلف له، داخل نصوص أخرى لا مؤلف لها أيضاً. ومن هنا فقدان للبنية قريبة الصلة بالحلم داخل الحلم. فإن ورد في علاقات بالعالم.

فلنلتعرف عليه أولاً. ما أبرز صفة يتميز بها؟ الآراء مجمعة على توقييد سلبية متزمنة تحل محل الأرجاع المألوفة. وهو ماتدل عليه خاصة النكتتان التاليتان.

حشاش يرى على الأرض قطعة نقود ذات العشرة قروش، فيسرع بإخفائها بقدمه، انتظاراً لالتقاطها. وإنما بسكتران يراه ويصرخ به: «لا تمس الخمسين قرشاً وإلا قطعتك قطعاً». فما كان من الحشاش إلا أن أولج يده في جيبه وأخرج أربعين قرشاً وضعها إلى جانب

قطعة النقود ومضى في حال سبيله. والنكتة تبرز الفارق بين آثار العشب والخمر المتباينة: فالحشاش إن هوجم لا يذعر بل يبدى استسلاماً لا حد له. والجانب الفكاهي ناتج عن المضي بمنطق اللامعقول إلى غايتها.

خلال جلسة تعاطي حشيش، افتقد المخدر، فكلف أحد المدخنين أن يبتاع بجنيه حشيشاً، وفي الطريق رأى

الصراع إلى عنصر روائي يخلق حركة تكرارية غايتها جعل الموضوع غير ممكن الإدراك تهائياً. فالوصف يقع على موضوع ليس في النهاية إلا وهما يحل محل الواقع ويدخل في سياق نص لا مؤلف له، داخل نصوص أخرى لا مؤلف لها أيضاً. ومن هنا فقدان للبنية قريبة الصلة بالحلم داخل الحلم. فإن ورد في

الحلم الشعور بأن ما يحدث ليس إلا حلمًا، لم يؤد ذلك إلى اليقظة الحقة، بل إلى امتداد الحلم امتداداً تتبين فيه نظير الانتقال من حلقة إلى أخرى من القصص. فثمة إذن علاقة جذرية، يكشف عنها الموقف الأدبي، بين الحشيش والفكاهة، فمتعاطي العشب المخدر يتقلب على السيد الذي يمثل في اللاشعور شخصية أبووية: سلطان؟ يهان؟. ولكن لاننسى أن ذلك هو ما يعلنه على الملأ كتاب «الف ليلة وليلة» في لغة مجازية يزدوج فيها الواقع ازدواجاً لا ينتهي. فالصورة الأدبية للتخييل هي التي تسمع بالانتقال من حال التخدير إلى التعبير عنها تعبيراً فكاهياً. فهل تصح هذه الصيغة خارج الإطار التاريخي الذي أتاح لنا صياغتها؟

لاشك أن شخص الحشاش الذي لا يزال حياً في المخيلة الشعبية المصرية، قد تعدد الظروف التاريخية التي أدت إلى ظهوره. فيتغير المسرح

إن كان هو القمر أو هي الشمس، فأجاب:
 - متأسف، لست من هذا الحى!
 والذئب الفاكاهى ينبع هنا من خطأ مزدوج فى الاستدلال: فمن ناحية،
 نقود الحشيش تصبح الحشيش ذاته،
 ومن ناحية أخرى ممثل السلطة يصبح الشخص ذاته عالماً بنوایاه المستقبحة.
 وكل ذلك يعني أن العمل بدلًا من أن
 ينتمي إلى مجال المشروعات التي
 يتلزم تحقيقها، يتحقق في الحاضر
 تحقيقاً آتياً. فالغاية تدرك بدون
 مراحل متوسطة، مما يخلق الإحساس
 بـتمرکز لحظات الزمن غایة التمرکز.

هوامش

(1) Sami Ali; Le Haschisch en Egypte-
 Essai d'anthropologie psychoanalytique
 (Payot- Paris,1971. Dunol- Paris,1988.)
 وقد حذفت في الترجمة هوامش الأصل
 الفرنسي.

(2) الإحالة هنا إلى ترجمة
 ماردروس Mardrus له ألف ليله وليله،
 (Gallimard.Paris 1955) فهي ترجمة
 للمترجم.

وفيما يلى حوار يتجلى فيه ذن
 المراوغة المميز لخبرة الحشيش. وهو
 يجري ليلاً بين حشashين:

- أترى القمر مقلالنا؟
- ولكن الشمس يامسطول!
- لا، هو القمر!
- لا، هي الشمس!
- . ومر حشاش ثالث طلبا منه أن يقول

العدد القادم

الجزء الثاني من ملف مصطفى زبيوار
 بأقلام

د. حسين عبد القادر - د. فرج أحمد فرج - د. خديجة الجباشة.

اللغة والثقافة

والمنتج

الثقافي

د. نصر حامد أبو زيد



إذا كانت العلامات اللغوية لا تحيل إلى الواقع الخارجي الموضوعي إهالة اللغوية لأنها هو "النظام" الذي تنحدر مباشرة ولكنها تحيل إلى "التصورات" و "المفاهيم" التهنية القارة في وعي الجماعة - وفي لا وعيها كذلك - فمعنى ذلك أتنا مع اللغة في قلب "الثقافي". والثقافي وإن كان يتجلى في أكثر من مظاهر - كالأعراف والتقاليد وأنماط السلوك والاحتفالات الشعائرية والدينية والفنون - فإن "اللغة" تمثل النظام المركزي الذي يعبر عن كل المظاهر الثقافية. من هذه الزاوية يصور الوجود الإنساني بدونها إلا على سبيل "الوهم" و "التقدير" كما يقول العلامات - إن "الثقافة" هي عبارة عن أنظمة متعددة مركبة من العلامات يقع البعض يفهم "الثقافة" بوصفها بعدها

إذا كانت "الثقافة" هي تصور العالم لدى مجموعة بشرية بعينها - مع التسلیم بتفاوت مستويات هذا التصور- فإن اللغة هي "النظام" المعبّر عن هذا التصور ، وهي من ثم لا تمثل نظاماً ذا مستوى واحد، بل تتعدد مستوياتها بتفاوت مستويات "الثقافة" التي تعبّر عنها. ولأن "العالم" - في وجوده الموضوعي المستقل عن الوعي - لا ينعكس في التصورات والمفاهيم الثقافية انعكاساً إليها، وذلك لأن للعالم قوانين من حيث وجوده المستقل تختلف عن قوانين تشكيل المفاهيم والتصورات في الوعي، فليس من المنطقى القول بأن "اللغة" تعكس التصورات والمفاهيم عكساً إليها ، وذلك لأن اللغة قوانينها التي تختلف عن قوانين تشكيل المفاهيم والتصورات في الوعي.

ومعنى ذلك أننا إزاء ثلات حقائق مستقلة عن بعضها البعض استقلالاً من نوع خاص ، أى استقلالاً لا ينفي "التدخل" و "التوالج" . ويمكن وضع العلاقة إنما على مستوى أفقى لا رأسى تجنبًا لتوهم الأسبقية أو الأولية. الحقيقة الأولى هي "العالم". بكل ما ينتظم فيه من حقائق طبيعية واجتماعية، والحقيقة الثانية هي بالحديث عن "تعدد ثقافى فى بنية "الثقافة" بكل ما تنتظم من مظاهر و مجالات وأنظمة علامات والحقيقة

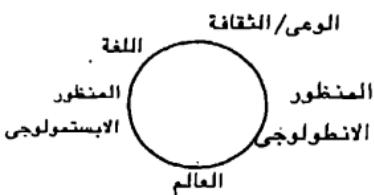
ناتجاً عن عملية "التعليم" الحديثة وأثراً من آثارها منطلقاً في ذلك من الاستخدام الشائع لفرق بين "المثقف" - أى المتعلم - و "الجاهل" . وهذا الاستخدام العامي الذي يضع "الثقافة" في مقابل "الجهل". استخدام غير صائب من الوجهة العلمية والمنهجية ، فالثقافي - علمياً ومنهجياً - يقابل "الطبيعي".

والغريب أن بعض الأكاديميين لا يكادون يفارقون هذا الاستخدام العامي الذي يضع "الثقافة" في مقابل "الجهل" هذا رغم أن جميعهم يعلم - ويكرر القول دون فهم أن النبي محمد عليه السلام كان "أمياً" لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه لم يكن "جاهلاً" ولا ينكر أحد أنه كان من صفة مثقفى عصره ، وكذلك كان أصحابه. إن "الثقافة" تعنى تحول الكائن من مجرد الوجود الطبيعي إلى "الوعي" بهذا الوجود. وهو وعي يفصله عن الموجودات الطبيعية الأخرى غير الواقعية ويسمح له بالسيطرة عليها. قد تتفاوت مستويات هذا الوعي من مرحلة إلى مرحلة أخرى زمانياً، وقد تتفاوت بين جماعة وجماعة أخرى، بل قد تتفاوت بين الأفراد في المجموعة البشرية الواحدة. وهذا يسمح للباحث بالحديث عن "تعدد ثقافى فى بنية "الثقافة" الخاصة بمجتمع ما أو بمجموعة بشرية معينة.

من شئه الأول "كلمة". جاء في انجيل يوحنا "في البدء كان الكلمة" ، وفي القرآن الكريم أن الأصل في الإيجاد هو الأمر الإلهي التكويني "كن" و "اللوجوس" في الفكر اليوناني هو "العقل" الذي لا يظهر نشاطه إلا من خلال "الكلمة". حتى نهب المفسرون لقول أرسطو: "الإنسان حيوان ناطق" إلى أنها بمعنى "عاقل" لأن النطق اللغوي هو مجال ظهور النشاط العقلي. وفي الفكر الصوفى الإسلامى "الموجودات" هي كلمات الله التي لا تنفذ ولو كان البحر مدادا لها لنفذ البحر ولم تنفذ كلمات الله" [الكهف: ١٩]

"ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحار ما نفذت كلمات الله" [لقمان ٢٧] يتحول العالم كله من أعلى إلى أدنى في القرآن إلى علامات و آيات تدل على وحدانية الله وقدرته، ويتحول كذلك في الفكر الصوفى إلى "كلمات" تتواءى مع الكلام الإلهي الذي يعد "القرآن الكريم" أكمل مجاليه كما سبقت الإشارة. وهذه الأبعاد في القرآن وفي الفكر الإسلامي سبقت لنا دراستها في أكثر من دراسة أقدمها "فلسفة التأويل" الذى صدرت طبعته الثانية عن دار "التنوير" بلبنان هذا العام، وأحدثتها دراسة قيد النشر بعنوان "القرآن : العالم بوصفه علامة"

الثالثة هي "اللغة" بكل ما تنتظم من قوانين . والعلاقة بين هذه "الحقائق" الثلاث تختلف بحسب المنظور الذى يربىها وينظمها ، فلو تبنى الباحث المنظور الانطولوجى، أى البدء بالوجود كمفهوم وليس كماهية فإنه يضع "العالم" أولاً، ثم "الثقافة" ثم "اللغة". ولو بدأ من منظور ابستمولوجى أى معرفى، فإنه يضع "اللغة". أولاً ثم "الثقافة" ثم "العالم" . ولو نظر الباحث من منظور "تركيبى" فإن العلاقة لا بد أن تأخذ شكل "الدائرة" ، وذلك على النحو التالي:-



والحديث عن حقائق ثلاث "مستقلة" رغم ذلك كله، هو حديث على سبيل "الوهم" و "التقدير" ، فنحن في "مجال" "ال الحديث" أى في مجال "اللغة" النظام التعبيرى الذى يقول "من خلتنا ، أو نقول" من خلله وهو "النظام" الذى ولدنا فيه، ونمارس حياتنا ، بكل ما ينتظم في هذه الحياة من أنشطة علينا ودنيا - من خللاته. وقد بلغ من سطوة اللغة وسيطرتها أن جبار الوجود فى

هل يمكن القول بناء على ذلك كله أن النحاة هذا "النظم" هو المنتج للدلالة وللمعنى، وهي ليست حاصل جمع دلالة "العلامات" المستخدمة - أو الألفاظ - في الجملة، بل هي ناتج تفاعل تلك الدلالات بدللات القوانين التحوية بالمعنى الذي صاغه عبد القاهر في نظرية "النظم" وقدتناولنا قضيائيا النظم والدلالة في أكثر من دراسة يمكن للقارئ الرجوع إليها جمیعاً في كتاب إشكاليات القراءة وأليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٤.

ولكى تتضح ملامح استقلال قوانين اللغة عن قوانين الواقع والحياة والعالم الخارجى، يكفى هنا أن نعطي مثالين يكشف أولهما عن هذا الاستقلال من زاوية "عدم التماهى"، ويكشف الثانى عن قدرة اللغة على خلق واقعها الخاص. المثال الأول جملة "مات الخليفة الأول أبو بكر الصديق" وهى جملة تشير إلى

واقعة حدثت خارج اللغة، لكن النظر للجملة من خلال قوانين اللغة يكشف "عدم التماهى". الجملة تقول إن هناك فعلآ "مات" وتقول إن الفاعل هو "أبو بكر الصديق" وهذا ليس صحيحا على مستوى الواقعية الخارجية، فالخليفة رحمة الله لم يقتل "موته". هذه ملاحظة أولى، الملاحظة الثانية أن "الفاعل" نحويا هو كلمة "ال الخليفة" وهى تمثل في الواقع الخارجى "وصفا" للشخص.

"اللغة" تتمثل "الرحم" الذى ينبع عن "الوعى" بكل أبعاده؟ نعم يمكن قول ذلك دون تردد ، خاصة إذا أدركنا أنها ليست "معطى" ثابتًا، بل هي حالة سيرورة مستمرة وحيوية دافقة نابعة من قوانينها الخاصة بدءاً من المستوى الصوتى وصولاً إلى المستوى الدلائلى. إن اللغة نظام من العلامات، لا تشير العلامة فيه كما سبقت الإشارة إلى "الخارج" بشكل مباشر، بل تشير إلى "المصورة السمعية" التى هي "الدال" .

وهذا "الدال" يحيل بدوره إلى "المصورة الذهنية" أو "المفهوم" الذى هو "المدلول". هذا على مستوى "العلامة" المفردة، لكن اللغة نظام من العلامات التي تدخل في علاقات أكثر تعقيداً على مستوى "نظام" النحو وتزداد درجة التعقيد حدة حين تتجاوز حدود الجملة إلى "النص" .

ولقد قام أسلافنا بجهد مشكور بدراسة النظم اللغوى على مستوى "الجملة" واستطاع شيخ اللغويين والنقاد عبد القاهر الجرجانى أن يلخص النظام اللغوى على هذا المستوى من خلال مفهوم "النظم" الذى هو قوانين النحو فى سيرورتها وتعدد إمكاناتها ولا نهاية الاختيارات المتاحة لدى المتكلم من خلالها، لا مجرد "قوانين الصواب والخطأ" كما هي عند متاخرى

وتنقول الجملة ثالثاً من خلال تحليها نحوياً أن كلمة "أبو بكر" بدل من كلمة "ال الخليفة" مع أن الحقيقة "الخارجية" غير ذلك . ولكن تتبين هذه المسألة فلو حدث تأخير وتقدير في "التركيب" فصارت الجملة مثلاً: "مات أبو بكر الصديق الخليفة الأول" لتوهم متوجه أن الجملة الآن تمثل العلاقات الخارجية بين الاسم "أبو بكر" وصفاته "الصديق وال الخليفة الأول" ولكن الحقيقة تظل غير ذلك فالاسم "أبو بكر" صوت وكذلك الصفات أصوات منطقية لا تمثل الكائن المشخص ، بل تدل عليه بوصفها علامات كما سبقت الإشارة .

ومن جهة أخرى يظل الفاعل النحوي في الجملة اللغوية فاعلاً مع أنه لم يفعل شيئاً في الواقع موضوع التعبير اللغوي .

المثال الثاني الكاشف عن قدرة اللغة على خلق واقعها الخاص الجملة التي تقول مثلاً "غابة الحياة" تتمثل بـ"الأشجار الميتة" فالمركب "غاية الحياة" لا يشير إلى مدرك ذهني سابق ، بل هو مدرك عملي استبدال علامة بعلامة أخرى ، بل هي عملية تحويل كامل في الدالة .

هكذا يمكن القول إن للغة قوانين خاصة في إنتاج الدالة تعتمد أساساً على تفاعل مستوياتها الصوتية يحددها إطار وعي المخاطب بالجملة .

مدرك مستقل وكذلك "الحياة" ، لكن "غاية الحياة" مدرك تركيبين جديد في النظام النحوي (الجدة طبعاً مسألة على تفاصيل مستوياتها الصوتية يحددها إطار وعي المخاطب بالجملة .

المرات، ذلك أنها ليست في الحقيقة "التركيب" و "الاستبدال" ، فالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتكرار، والوصل والقطع، والعطف والاستئناف، كلها ظواهر تركيبية على مستوى الجملة تمثل قوانين إنتاج الدلالة على هذا المحور، كما تمثل عملية "الاستبدال" محورا آخر، ويتفاعل المحوران مع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية ليشكل هذا التفاعل المعقد قانون إنتاج الدلالة على مستوى "الجملة" ناهيك بمستوى "النص" مع تعدد أنماط النصوص وأنواعها من القانوني والتاريخي والديني . والفلسفى والمنطقى والصوفى والشعرى والروائى والقصصى . والمسرحى، ناهيك بالنصوص المركبة.. الخ.

ولذا كان الحديث عن النص القرآنى كلام الله فهو بامتياز نص يمتلك "كلاماً" ، وليس بما تنتجه "اللغة" وإن كان يستمد مقدرته القولية أساساً من "اللغة". ومرة أخرى المقصود بمقدرتة "القولية" مقدرتة من حيث هو نص موجه للناس فى سياق ثقافة بعينها، وليس المقصود مقدرتة من حيث طبيعة المتكلم به، الله عز وجل . وهذا شرح لازم حتى لا يزيد علينا المزايدون الذين تنتجه "اللغة" من خالهم ولا يمتلكون "كلاماً" يقولونه من خلال "اللغة". النص القرآنى يستمد

لكن النصوص - مهما تعدد أنماطها وتنوعت تستمد مرجعيتها من "اللغة" ومن قوانينها، وبما أن "اللغة" تمثل "الدال" في النظام الثقايفي، فكل النصوص تستمد مرجعيتها من "الثقافة" التي تنتهي إليها. هذا جانب من القضية، أما جانبها الآخر فإن النصوص قادرة على استثمار قوانين الدلالة المشار إليها فيما سبق للتاثير في الدلالة ، أى للتاثير في الثقافة. هذا بالطبع ياستثناء النصوص الدعائية الفجة، وتلك الرؤمية الإنسانية التي تكرر ما سبق قوله آلاف ، بل ملايين



ويبين إمداده للثقافة وتغييره لها".
هذا هو ما ورد في "التمهيد" والكتاب في أبوابه الثلاثة وفصوله الكثيرة يثبت صحة هذه الفرضية ويدل على مشروعيتها من خلال تحليل "علوم القرآن" التي أوردها كل من الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" والسيوطى في "الاتقان في علوم القرآن".

اللغة قادر على تغييرها. وإذا انتقلنا إلى "الثقافة" - مدلول اللغة.. فلنا إن القرآن "منتج ثقافي" لكنه منتج قادر على "الإنتاج" لذلك فهو "منتج" يتشكل لكنه في نفس الوقت - من خلال استثمار قوانين انتاج الدلالـة - يساهم في التغيير وإعادة التشكيل في مجال الثقافة واللغة أيضاً.

لكن لأن الخطباء والوعاظ من يتلقبون بألقاب العلماء ويحتلون كراسيمهم لا يقرأون ، ولأن بعضهم، إذا قرأ لا يفهم ، فقد اكتفى واحد من ممثليهم-متظاهراً بالتعليق والتلـيل، أى متظاهراً بأنه ينتج "كلاماً" - بأن يدع "اللغة" الوعظية والإنسانية تتلبـسه وتنطق من خلاله، فكتب : "لقد طعن الأقدمون في القرآن فقالوا أسطـير الأولين، وقالوا : كهـانة ، وقالوا شـعر، وقال نصرأبو زيد : منتج ثقافي بفتح النـاء وكسرها!!! (وعلامات التـعجب من وضـعه) وإذا كان القرآن كذلك فالـسنة من بـاب أولى .. وتوافقـة اللغة الـوعظـية الإنسـانية حـديثـها قـائلـة: "الـقرآن يـقول (إـنـه تـنزـيل رـبـ الـعـالـمـين) [سـورـة الشـعـراء: ١٩٢] وـيـقـول : (وـبـالـحـق أـنـزلـنـاه) وـبـالـحـق نـزـلـ() [سـورـة الإـسـرـاء: ١٥] وـيـقـول في أـوـل سـورـة النـجـمـ: وـمـا يـنـطـقـ مـشـروـعيـتهاـ. إـنـ هوـ إـلا وـحـيـ يـوحـيـ() وـدـ. نـصـرـ أـبـو زـيدـ يـقـولـ: "منـتجـ ثـقـافـيـ"

هـذاـ بالـضـيـبـطـ ماـ قالـهـ الـبـاحـثـ فيـ كـتـابـ "مـفـهـومـ النـصـ"ـ ،ـ وـقـالـ مـثـلـهـ بـعـبـارـاتـ أـخـرىـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـدـرـاسـاتـ وـالـأـبـحـاثـ ،ـ وـهـذـاـ هـوـ مـفـهـومـ "التـارـيـخـيـةـ"ـ فـيـ مـجـالـ النـصـوصـ غـمـومـاـ،ـ وـهـذـاـ شـرـحـ حـيـنـ يـوـصـفـ بـهـ الـقـرـآنـ عـلـىـ وـجـهـ الـخـصـوصـ.ـ وـرـدـ فـيـ "مـفـهـومـ النـصـ"ـ :ـ إـنـ القـوـلـ بـأـنـ النـصـ مـنـتجـ ثـقـافـيـ يـكـوـنـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ قـضـيـةـ بـدـيـهـيـةـ لـاـ تـحـتـاجـ إـلـاـ ثـبـاتـ وـمـعـ ذـلـكـ فـيـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ تـحـتـاجـ فـيـ ثـقـافـتـنـاـ إـلـىـ تـاكـيدـ مـتـواـصـلـ نـأـمـلـ أـنـ تـقـومـ بـهـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ.ـ لـكـنـ القـوـلـ بـأـنـ النـصـ مـنـتجـ ثـقـافـيـ يـمـثـلـ بـالـنـسـبةـ لـلـقـرـآنـ مـرـحـلـةـ التـكـوـينـ وـالـأـكـتمـالـ،ـ وـهـيـ مـرـحـلـةـ صـارـ النـصـ بـعـدـهـ مـنـتـجاـ لـلـثـقـافـةـ،ـ بـمـعـنـيـ أـنـ صـارـ هـوـ النـصـ المـهـيـمـ الـمـسـيـطـرـ الـذـيـ تـقـاسـ عـلـيـ النـصـوصـ الـأـخـرىـ،ـ وـتـتـحدـدـ بـهـ

فـيـ تـارـيـخـ النـصـ هـوـ الـفـارـقـ بـيـنـ الـمـرـحـلـتـيـنـ اـسـتـمـدـادـهـ مـنـ الـثـقـافـةـ وـتـعـبـيرـهـ عنـهـ،ـ

(تشكلت) نصوصه في الواقع بقطع النظر عن أي وجود سابق له - والستة كذلك- في العلم الإلهي أو الملوح المحفوظ. فهل قوله هذا يوافق قول أهل أخرى حين وصف الباحث بأنه مشغول بخصية التأويل التي تؤدي إلى "تعطيل" النصوص الدينية، وتحويلها إلى "فولكلور".

وكما احتاج صاحب الفضيلة لمن يشرح له "الثقافة" و "الأسطورة" وأشياء أخرى كثيرة، يحتاج صاحبه إلى إيمان، أم يوافق قول من قال عن القرآن إنه أسطوير . وأقوال الكهان !!؟!؟! . ه

أوردنا كلام "صاحب الفضيلة" كاملاً ليعرف القارئ: هل قال حقاً كلاماً؟ أم الرجل مسكون تنطق "اللغة" المحنطة على لسانه، في يصل إلى حد تحنيط الكلام الإلهي دون أن يدرى. لقد حدثنا في الكتاب أقوال الكهان عن القرآن ووصفهم له، وشرحنا بما يفهم "البليد" أنهم كانوا يحاولون جذب أفق النص إلى أفقهم غير مدركين لخصوصيته. والرجل - من بعد - في حاجة لمن يشرح له معنى "الثقافة" و "الأسطورة" ، ومعنى أشياء كثيرة. ويواافق "صاحب الفضيلة" في طاقته الذهنية صاحفي بدأ حياته الصحفية هاوياً يكتب في "الislamيات" ، ثم عاش فترة في بلاد "النفط" فارتقت أسهم جهله حتى صار من كبار ممثلي خطاب "الامتدال" ولأنه مثل صاحبه لا يقرأ وإذا قرأ لا يفهم فقد قال عن الباحث في إحدى مقالاته الصحفية: « هو القائل في كتابات عديدة بفكرة "تاريخية" النص القرآني، وهي فكرة تتعارض في متعلقها مع مقتضي الإيمان الديني »: ثم كرد ذلك في مقالة



وهم يفهمون "تاريخية النصوص" على أساس أنها غير قادرة على مخاطبة الناس بعد عصر نزولها فضلاً عن مخاطبتهم خارج دائرة النظام اللغوي الذي تشكلت من خلاله تلك النصوص ، وهذا فهم يضيف إلى جهلهم بالتاريخ جهلهم باللغة . وهم في كل ذلك غير معذورين في هذا الجهل لأن كل ذلك مشروح فيما كتب الباحث في الكتب آفة الجهل المستعنصي على العلاج بدواء المعرفة والقراءة والبحث.

نصوص

قصص:

رانيا خلاف / عبد السلام الجرایة / وجيه عبد
الهادى / مجدى حسنين

شعر:

شهلا الكيالى / حسين حمودة / ليلى الشربينى /
يسرى حسان

طوارئ

رانيا خلاف

جلس في غرفة مستطيلة واسعة.. يافندم.. حاضر.. تمام يافندم.. يلصق أذنيه بسماعة التليفون. يبدو أنه تعلق الحجرة بهواء بارد لذا يتبع سير عملية أمنية هامة.. على يأتي من جهاز التكييف المتربيع أمامه مكتبه الخشبي الطويل ذي السطح على الحاطن.. تبعثر سخونة من وجهه الأسود اللامع تتناثر أوراق وتقارير الغليظ المستطيل المسمر اللون.. كثيرة.. المطافة تفترش فيها أمتاب يتقوس حاجباه كقط شرس نفشد ذيله السجايا المستوردة وقد تجاورت في وتأهب للهجوم على خصمه.. يدون على شكل دائري وكأنها تنهمك في ممارسة ورقة صغيرة أمامه بضع كلمات.. تجلس لعبة طفلية.. على الكتبة الجلدية أمامه في هدوء على طرف الورقة الناعمة المقابلة لمكتبه تستريح جاكتة البيضاء.. لا ينتبه في أول الأمر بدلته العسكرية. مائدة الاجتماعات لوجودها.. تنتقل من مكانها إلى أمامه يسودها هدوء وقد تراست حولها منتصف الورقة تماماً كائناً تريد أن كراس ضخمة وكأنها عرائس خشبية تلفت انتباهاه.. ينتبه.. يهشاها من على جلس تراقب في صمت.. "أيه ايوه الورقة أمامه.. تنتقل إلى جبهته يافندم مع سيادتك.. جمعنا المعلومات المستطيلة تبدو وكأنها اتخذت موضع اللازمة يافندم.. قريباً.. قريباً جداً حارس المرمى من ملعب الكرة وتبتعد يافندم نعلن أسماء المجموعة.. تمام للهجوم القادم.. يهشاها هذه المرة بعنف

تقفز على ملف أحمر كتب عليه بخط أسود عريض "عمليات سورية" .. أخذت تدلك جناحيها الرماديين ببعضهما كأنما تتمطر استعداداً للاستقاء .. أخذت تتفاوز على سطح الملف في شكل دواير صغيرة تتسع كتموجات مائية .. بدا عليه الإعيا .. هوى عليها في محاولةأخيرة بظاهر معلقة كبيرة كانت موضوعة فوق زجاجة دواء بجواره إلا أنها سبقتها وجلست فوق حافة فنجان القهوة البارد الذي لم يكن قد بدأ في احتسائه بعد.. جحظت عيناه المستديرتان وكأنما تهمن بالخروج من وجهه الذي أخذ يزداد حمرة ويشع سخونة تحدث تناهراً وقتيماً مع الهواء البارد المنبعث من جهاز التكييف المستطيل الشكل .. وضع رأسه بين كفيه وقد استسلم لإحساس من السأم، بينما أخذت دقات قلبه تتناهى.. تعلو ثم تختفت وتثنى.. ضغط بقوه على جرس بجانبه، ثم تحرك بحذر وفتح باب المكتب .. أشار إلى العسكري الرابخ أمام الباب أن يدخل في هذه.. يرفع يده كالمنتصر- من

دخل على الفور عسكري متوسط الطول يميل وجهه النحيف للسمرة.. تمام يافتدم .. قال "ادخل" وأغلق الباب وراءك فوراً .. عاد إلى مكتبه.. أرخي الوثير .. قال في لهجة تنم عن الحسم فتصفع يده الغليظة جبها التي بدأت تتجمع فوقها في شكل منحنى حبات العرق المتقصد .. تختفى للحظات.. بن جرس التليفون "الو.. هيه.. آيوه.. آيوه" يفتح فمه فجأة علامه على الذهول..

"خمس دقائق وتكون عندي .. انصرف يا بني آدم.. يضع سماعة التليفون ذات اللون الأحمر بعنف شديد.. تتفق هي في سكون على حافة المكتب.. يراقبها وكأنما يشاهد فيلماً سينمائياً مثيراً.. تأتى .. تجلس على حافة السماعة وتتحرك عليها في رشاشة وكأنها تستمتع بملمس السماعة المصقول والبارد في ذات الوقت وكأنها تسير بمحاذاة شاطئ البحر.. ينظر إليها في غضب ، يثبت يده اليمنى المقاربة للتليفون- وكأنه يقوم بالتمويه - يحرك يده اليسرى ببطء شديد حتى لا يثيرها .. يحركها خطوة خطوة حتى ينقض عليها بسرعة بقيضته اليسرى فتفترش السماعة بطولها.. أخيراً.. يشعر بارتياح.. أخيراً أمسكت بها.. يرفع يده كالمنتصر- من

فوق السماعة فلا يجد شيئاً.. ينظر حوله في ذهول.. "راحـتـ فـيـنـ" .. يسمع طيـناـ خـفـيـضاـ يـجـوـارـ اـذـنهـ .. يـنـتـفـضـ من فوق كرسـيـهـ .. يـقـبـضـ بكلـتاـ يـدـيهـ علىـ الـهوـاءـ المـحيـطـ بهـ منـ كـلـ جـانـبـ .. لاـ جـسـدـهـ الضـخمـ عـلـىـ كـرـسـيـهـ الاسـوـدـ يـجـدـ شـيـناـ" ..

والرجاء معـاً.. فيه دبابة في المكتب
عايزين تخلص منها فوراً..
حافة المكتب.. هاهي يا فندم.. نقيمة
واحدة وأمسك بها.. خلـى سيادتك في
مكانك .. لا تتحرك.. بسط المنديل
بين كفيه وهجم عليها .. ضغط بكليه
ضفـطة هائلـة جمع فيها كلـ ما تبقى له
من قـوة مـتهاـكة.. انسـك فنجـان القـهـوة
البارـد فوق المـلـف الأـحـمر.. قـفـزـتـ
المـلـقة بـعـيدـاً فـي هـوـاء الـحـجـرة الـبـارـدـ
تسـمـرـ هوـ فـي مـكـانـ وـهـ مـطـبـقـ عـلـىـ
المـكـتبـ الخـشـبـيـ بـكـلـتـاـ يـديـ.. اـصـفـرـ
وـجـهـ وـهـ يـرىـ القـهـوةـ تـتـسـرـبـ عـلـىـ
الـوـرـقـ الـعـفـورـ أـمـامـهـ.. مـرـتـ دـقـائقـ
كـثـيرـ وـهـ مـتـسـمـرـ مـكـانـهـ.. غـابـتـ مـلـامـعـ
وـجـهـ.. تـدـفـقـتـ حـبـاتـ الـعـرـقـ مـنـ كـلـ
جـسـدـ التـحـيـلـ الذـىـ بـداـ كـعـودـ منـ
الـحـطـبـ الـجـافـ دـخـلـ لـتـوـهـ مـحرـقةـ
كـبـيرـ.. فـيـ لـحظـةـ وـاحـدةـ تـعـنىـ أـنـ يـعودـ
إـلـىـ قـرـيـتـهـ وـيـتـلـاشـىـ فـيـ جـلـبـابـ أـمـهـ
الـأـسـوـدـ الـوـاسـعـ لـيـنـتـحـبـ دـونـ أـنـ يـراهـ
أـحـدـ.. تـسـابـقـتـ عـيـنـاهـ كـىـ تـنـسـحـبـاـ مـنـ
وـجـهـ حتـىـ لـايـلـتـقـيـاـ بـعـيـنـىـ سـيـادـةـ اللـوـاءـ
ذـىـ بـداـ مـتـسـعـرـاـ هـوـ الـأـخـرـ فـاغـرـاـ فـاهـ مـنـ
الـدـهـشـةـ..

تحرـكتـ يـدـهـ الـيـعنـىـ بـيـطـءـ شـدـيدـ
ناـحـيـةـ الـجـرسـ.. ضـغـطـ عـلـيـهـ بـقـوـةـ.. بـعـدـ
دقـائقـ كـانـتـ الـحـجـرةـ الـمـسـطـيـلـةـ التـىـ
بـدـتـ أـشـبـهـ بـرـقـعـةـ الشـطـرـنـجـ قدـ اـمـتـلـاتـ
بعـدـ كـبـيرـ مـنـ الـعـساـكـرـ وـهـبـاطـ الشـرـطةـ..
كـلـ يـبـحـثـ فـيـ إـتـجـاهـ.. أـخـذـ أـحـدـهـ يـقـلـبـ
أخـيرـاـ تـفـرـكـ قـدـمـيـهاـ الـخـلـفـيـتـيـنـ عـلـىـ
أـخـرـجـ الـعـسـكـرـ مـنـدـيلـاـ أـبـيـضـ كـبـيرـاـ
مـنـ جـيـبـ سـتـرـتـهـ واـخـذـ يـجـفـ الـعـرـقـ مـنـ
فـوـقـ كـفـيـنـهـ وـحـولـ رـقـبـتـهـ وـقـدـ تـجـمـعـتـ
فـيـ مـنـتـصـفـهاـ خـطـوـطـ سـوـدـاءـ دـاـكـنـةـ.. ثـمـ
وقفـ يـحـمـلـقـ فـيـ بـلاـ حـرـاكـ وـكـانـماـ
يـحـاـولـ أـنـ يـصـدـقـ مـاـ نـقـلـتـهـ أـذـنـاهـ يـهـ..
صـرـخـ فـيـ وـجـهـ "أـلمـ تـسـمـعـ مـاـ قـلـتـهـ"
لـكـ.. تـحـرـكـ يـاـ عـسـكـرـ.." تمامـ يـاـ فـنـدـمـ"
قـالـهـاـ وـهـ يـحـاـولـ إـخـفـاءـ نـظـرـةـ اـرـتـيـابـ
وـخـجلـ مـعـاـ.. تـحـرـكـ إـلـىـ الـأـنـامـ خـطـوـةـ..
ثـمـ تـوقـفـ.. أـخـذـ يـهـرـشـ فـيـ شـعـرـهـ بـيـدـهـ
الـبـيـسـرـ مـحاـوـلـاـ الـتـرـكـيـزـ.. ثـمـ غالـبـ
ضـحـكـةـ كـادـتـ أـنـ تـقـلـتـ مـنـهـ قـائـلـاـ "أـينـ هـيـ
يـاـ فـنـدـمـ؟ سـيـادـةـ الـلـوـاءـ أـينـ هـيـ؟".. صـرـخـ
فـيـ وـجـهـ.." تـسـالـتـيـ أـنـاـ يـاـ بـنـيـ آـدـمـ أـينـ هـيـ
هـيـ؟ لـمـاـذـاـ إـذـنـ أـدـخـلـتـكـ هـنـاـ؟"

أـزـاحـ يـدـهـ وـوـقـفـ وـقـفـةـ اـسـتـعـدـادـ.. ثـمـ
أـخـذـ يـجـبـ الـحـجـرةـ بـحـثـاـ عـنـهـ.. ثـمـ
تـوـقـفـ فـجـأـةـ وـأـخـذـ يـدـقـقـ بـنـظـرـهـ فـيـ
سـقـفـ الـحـجـرةـ كـمـهـنـدـسـ مـسـاحـةـ.. أـخـسـ
بـهـاـ تـطـنـ بـجـوارـ اـذـنـهـ.. قـالـ فـرـحاـ.." هـاهـيـ
يـاـ فـنـدـمـ.. وـجـدـتـهـ..".." اـمـسـكـهـ اـمـسـكـهـاـ
يـاـ بـنـيـ آـدـمـ.. مـاـذـاـ تـنـتـظـرـ؟" أـخـرـجـ مـنـ
جـيـبـ الـبـنـطـلـونـ مـنـدـيلـهـ الـأـبـيـضـ الـوـاسـعـ..
أـمـسـكـهـ بـكـلـتـاـ كـفـيـهـ مـحاـوـلـاـ أـنـ يـصـنـعـ مـنـهـ
مـصـيـدـ.. اـعـتـدـلـ فـيـ وـقـفـتـهـ وـكـانـماـ
يـسـتـعـدـ لـأـدـاءـ دـوـرـهـ فـيـ مـعـرـكـةـ شـرـسـةـ..
أـخـذـ يـتـعـقـبـهـاـ فـيـ أـنـاءـ الـحـجـرةـ.. وـقـفتـ



طرف السجادة البنية المستطيلة التي
تفترش في زهو على الأرض.. أخذ آخر
الشكل ، وقد ساد الحجرة صمت طويل
ي Decay على الحائط ثم يلتصق أذنه على
ثقيل أطبق على الأجسام المنهكة
جداره في حذر ، بيتما ثالث يرافق
المتراسكة فوق بعضها .
الثاقفة المستطيلة وقد انسدلت عليها
ستارة ثقيلة..

وكانت رائحة العرق تغمر المكان . الآخر وبدأ لها أن كل ما في الحجرة بدأ
وذرات الغبار الكثيرة تتعلق في سكون . يستسلم في هدوء .. قد اختارت مكاناً
في فضاء الحجرة ، وكانت جراره على الأرض العارية بجوار أحدهم ..
الأجسام المتعبة تعلو فوق البرورة وأخذت تطن في هدوء ..

موت الأحلام الصغيرة

عبد السلام الجرایة

تنزوج) هكذا قالت أمي .
ذهبت لزميل كان لي في الدراسة
وهو الآن صاحب شركة . تكلمنا في
السياسة وأشياء أخرى . قال لي كيف
أنهم متميزون وكيف أنهم سيغيرون
العالم .

في الصباح ، تسلمت العمل .
طلب مني صاحب العمل أن أقني
حمام السباحة . ذهبت أنا والمهندس
التنفيذي . قال صاحب العمل : اذهب
وقس حمام السباحة . قال المهندس
التنفيذي : يعني اشرحها له . ثم أردف
 قائلاً : اكتب يا باشمهندس ١٢x١٨ -

٣x١٥ ... إلخ

(لابد أن تعمل حتى تستطيع أن كتبت تحت وطأة الشمس ودوى

خسرت حلماً جميلاً
خسرت لسع الزنابق
وكان نومي طويلاً
على سياج الحداائق .

محمد درويش
استيقظ كل صباح وأتمضى إلى
كليوباترا . هناك بائعة خردوات مجيبة
جميلة أشتبرى منها زجاجة «كوركا كولا»
وأمضى هكذا كل يوم . تكونت في
مخيلتي علاقات حميمة بيئي وبينها .
اليوم ضحكت لي - اليوم مقطبة -
تركتنى وكلمت سائق التاكسي - لابد
أن بينهما علاقة ما . فاتاحت أمي في
الموضوع .



الماكينات ، ولما انتهينا سألنا رئيسي للقاهرة ، بعد مشاجرة بقى كل شىء المهندس الاستشارى : حتعمل على حاله - أحضرت كتاباً فى البنية مستخلص ، فأجاب : نعم . وأخذت أقرأ . بعد أسبوع أو أكثر ، جاء قلت : لم أقسى شيئاً على الإطلاق .

رأيت فيما يرى النائم حبيبي باشعة « الكوكاكولا » واقفة بجانب حمام كلمته فى مسألة المرتب قال لي : إننى لن أقبض فلوساً ، تركت كل شىء .

في الصباح لبست ونزلت أشرب « كوكاكولا » من باشعة كلوباترا . ولما وصلت إلى هناك كان رجل بدین يلبس عقالاً جائعاً عليها وهى تصرخ . أخذ يجذبها كما يجذب الثقب الأسود . كل شىء ويدمره ويخلع عنها ملابسها حتى صارت عارية . ثم يدها .. وأنا واقف أرتدع .

فى الصباح قمت بالقياس وسلمت الورق لرئيسى ، وكانت القياسات مختلفة من قياسات الشركة المنفذة . قال : اتطاهموا أنتم الاثنين وسافر

أشياء لا تُشتري

وجيه عبد الهادى

إيهامه..
عندما دوت المسرخة فى أذنى..
المرأة قابضة على تلبيب الرجل
قذفت الكتاب بعيداً.. سقط بجوار
الكثير من الأوراق. ياه كل هذا التل ولم
ترتو الأرض العطشى ولا أنت السحابة
تهزه وتعوى.. الرجل يضرب بكفه..
بقبضة.. بقدمه.. ويصيح..
ـ دعينى .. دعينى يا ابنتى ..
ـ دعى .. دعى .. دعى ..
كانت المسرخة هذه المرة أشد
أعنتى، صحبها لغط كثير
الظليلة التى يحلو السكون فى ظلها..
أصابع المرأة مبخلب نشببت فى
تلبيب الرجل وجسده.. قرادة ذيل
الحصان لا تخرج إلا بالدلم..
ـ خذه .. لا أريدك
ـ ساطحون عظمك ..
ـ يجذبها من خصلات شعرها..
ـ يطروحها يمينا ويسارا .. تعوى تعوى ..
ـ لكن مخالفتها على حالها..
ـ أطاح بها إلى الأرض .. أصابت قدمها
ـ من خلال النافذة رأيتهم .. امرأة ..
ـ جبهة الطفل وهى تقع.. فقط يبكي ..
ـ طفل على مقربة منها يستحلب
ـ جفـل قلبـي وارتـعد فـرائـصـي
ـ العـبـورةـ بـعـنـفـ دـفـعـتـ عـجلـتـيـ الـكـرسـىـ
ـ الـمـتـحـركـ فـىـ طـرـيقـىـ إـلـىـ النـافـذـةـ
ـ دـهـمـتـ الـعـجلـةـ الـأـغـلـفـةـ الـمـزـيـنـةـ بـصـورـ
ـ بـوـشـ وـخـلـافـهـ لـمـ أـهـتمـ فـالـصـراـخـ بـاتـ
ـ مـتـواـصـلاـ حـتـىـ خـلـتـ عـوـاءـ
ـ رـجـلـ ..ـ طـفـلـ عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـهـاـ يـسـتـحـلـبـ
ـ جـبـهـةـ الطـفـلـ وـهـىـ تـقـعـ فـقـطـ يـبـكـىـ

تعرى فخذها عندما كان يمر أحدهم ..
صلاح .. والركلات والصفعات وهى تعضم
- أنت وهى فى النار .. يافاسق ..
لماذا لا تؤدبها بالبيت، وهو بعيده
صدره وما بين شاجب أو مستنكر..
وهو يصبح:
- أنت وهى فى النار .. فى النار ..
- والله إن لم تدعينى لاكون قاتلك
كان الليل قد تمكן من نشب أظافره
وارتفعت أصوات بعض التسوس
في جسد النهار التحيل وكان النهار
يجهاد كى يهرب .. تاركا البراح للسواد
يتمدد، بانت بعض لعبات كهربائية ..
زبالة متهاكلة.
برغم هذا الضوء الخابى لمحنته
طائراً أسمراً ضخماً، أتى من على هابطاً..
كاد يحط على رؤوسهم ..
ونعاقه كان أعلى من صرخ المرأة
وجلة الجموع.
اشرأت الرؤوس إليه لحظات وما
إن غاب حتى عاد الجميع إلى ما كان
عليه.
تعجبت من نفسي فقد اعتبراني
إحساس قوى بأننى رأيت هذا الطائر
من قبل..
انتزعنى من دهشتنى.. عواء المرأة ..
شخير الرجل صيحات الجميع من
حيولهم..
تسابقنا فى تسلق الشجرة .. أمسكت
بفرخ.. عادل بآخر.. نزلنا سريعاً ..
سعيد يجرى وراءنا...
نضحك والحقول وابسة لكن اللعبة
لم تدم طويلاً.. كان الغراب قد اقترب
من رؤوسنا ونعق..
- خذه يا جيان وإلا مزقته أمامك..
- اتركينى يا كلبه.. يابت الد .. لن الشوانى التى غابها كنا نسمع صوت
نعايه.. كأنه بكاء .. النعاع يقترب ..
أخذه ..

يقترب .. ظهر.. لم يكن وحده.. كان
وراءه جموع .. جموع.. يا إلهي.. كيف
عنفتني أمي وهي تعالج جروح رأسي ..
قائلة..

- .. يالبني الضنى غالى..
كانت الضجة قد بلغت ذروتها..
والمرأة ما زالت تضرب وتتعوى
- خذه وإلا ..

- .. إن أخذه .. يا ..
دارت عيناي تبحثان .. عندما
تعلمنى اليأس .. صحت بأعلى ما فى
صوتى من قوة ..

- ياغربان .. ياغربان..
أخال أن أحدا لم يسمعنى.. كنت قد
تذكرت أنتى رأيت الطائر على شاطئ
الخليج قبل إصابتى ..

كان يمر فى جماعة متهالكة تشكو
الجوع والإرهاق والألم.. يومها ضنككت
بالم،

أخذت أصيح .. ياغربان .. ياغربان
انخلع قلبي عندما رأيت طفلة لها
وجه أمى من بين الجموع تبكي
وتصرخ ببديها اجساماً كثيرة وتجذب
 شيئاً من بين أقدامهم..

يقترب .. ظهر.. لم يكن وحده.. كان
غابت خلف ستارة سوداء.. والكون بدا
حبيس تعيبهم.. ونحن لم نعد ندور كيف
نلعب .. باتت الدنيا صغيرة.. صغيرة ..
توقفنا ندور فى مكاننا .. وإذا بأحدهم
يهوى على رأسي.. نقرة أثراها صحت..
أى ومددت يدى إلى رأسي .. أحست
بسخونة الدم قبل أن أشكُ أنت أهة من
عادل.. دم .. دم .. كثر النقر فى رؤوسنا
ومعلا صراخنا لكنه تاه وسط نعيق
الغربان.. الخيمة السوداء تتسع ..
تشبع.. ولم نعد نعرف أين نختبئ..

الهلع جعلنا نتحرك بلا هدف..
نتخطيط سوياً .. البكاء يزيد.. يزيد
- والنقر يزيد .. يزيد ..
فجأة أتى صوت أمى .. أعلى من كل
النعيق..

- اتركا الفرixin..

تنبهنا إلى ما فى يدينا.. قذفناهم
بعيداً.. حطت الغربان وطارت رويداً ..
رويداً .. السحابة تختفي.. الشمس

القفـل

مجدى حسنين

قال لها: للأقفال مفاتيح أنا صانعها، تصاحبها في كل الطرق، أقفال حياتها فنظرت إليه من درجة السلم العالية، التي ترسبت في عقلها منذ الصغر، وهمست داخلها: منذ وهج الدماء الأولى وعرقلت أيامها، وجعلتها حبيسة الدار، وأنا أبحث عن مفتاح لقفلها، ولم أثر وجذون مراهقتها الذي لم يبرأ، تنتظر القادم، دون أن تحلم به، أو تجرؤ على عليه.

تصحها بشراء قفل جديد، وحزنها ذلك، تحمل سنواتها الثمانى والعشرين من العبث فيه أو ضياع مفتاحه، فقد فوق رأسها، تجتاحها صفحات النيران تهالك حلق الباب الخارجي، ولم يعد التي الهبتها، دون أن تحكى أنها عن يحتمل كسرأً جديداً، أو ماتت برأسها، سر الأقفال والمفاتيح التي ستصنعها وشكرته على نصائحه، وأعطيته أجره، لاحفاذها في المستقبل.

ومضت وحيدة تراقب الأقفال التي أنا الباقيه.. أجدت بمفردي صنع ملأت حياتها، قفل بمسوان ملابسها، المفاتيح في انتظار القادم، أذيب الداخلية، قفل بالتليفون، قفل بدولاب بلمستها أقفال حياتي، فاروح عن نفسى التليفزيون، قفل بصناديق عرسها سامة غيابهم جميعاً بمشاهدة رقصات القادم، قفل الخروج وتغل الدخول، التليفزيون، وأهيم على وجهي عندما سؤال أمها لماذا تأخرت؟ وسؤال أبيها يغازلنى أحد في التليفون، فتأرجبه، إلى أين؟ وأقادم أخواتها الذكور وأخلع له ملابسى الداخلية، أراني فى

المرأة فافتتحت: كم أنا جميلة. كنت أبيب العشاق عنى .. أم تخدعني مراتي؟، ولا
أجد مفراً مساء كل خميس، من شراء لحظة الوعود بالخروج غداً، أبحث عن
آية مفاتيح، تلتقط عيناي بعضها في القفل الجديد، وتركه على النار حتى
درجة الإحمرار، وانتظاره غداً ، بعد الطرقات، فاحتظر بها، عساها تنفع
يوماً، وأنطل طوال الليل أسجل في خروجهم جميعاً، فلا يرانا أحد.

قال خالي الأكبر: لن أسمع بأن وريقات صغيرة اسمى ورقم هاتفنا،
تتزوج ابنة اختي من عائلة منحطة،
وأطلب منه الاتصال يوم الجمعة فقط،
وأنشر الأوراق طوال يوم الخروج بين
وتناسى إخوتي الأمر. فقلت: أنا عارفة
نصيبى!

في الجمعة التالية حكت له عما حدث، انتظرت رده، عساها يفتح إلى الأبد قفل المنحوس، ويغترف على مهل ما خزنت له من وهج يحرقني، لايطفئ إلا هو، وأسمع مراراً صوت اتفعسه في المس أصابع قدميه وكفيه، أحفظ قسماته، وأتأمل زواياه باطمئنان على مهل، حفزته أن يدق الباب. ولا يهاب شيئاً، وأننى سأصون كرامته، وسأداعن عنه وسائله برغبتي وعشقي، لكنه بعد ثلاثة أسابيع انفلت ولم يعد.

حكت لها كثيراً عن الشروخ التي تحطم دنياي، وشباكى التي أمست ممزقة، لاحتفظ بطاوئي بين خيوطها المتهاككة، فتأملت استداره السنين فى أنوثى، وقالت: لا فرج إلا باستمرار المناسبة، بعدما تسربت مني السنون وتابعت، فأظل أحلم بقسماته وعمرته، منيت نفسي بأننى سأجد القسمات التي حلمت بها، ورائحة العرق التي

اذتذكرة الان جيداً، عندما رفعت رأسى في الطريق، فوجدت أمامى، قسماته هي التي رسّمتها، كلما مررت عليه نصحتني بشراء قفل جديد، وأن أحافظ بمفاصيحه تحت صدرى الآيس، وأن أترك القفل على النار، مساء كل خميس لدرجة الإحمرار، ثم أطافته بالتبول عليه، فأشمع صوت إنفاسه النار في مائة، وتملأني لسعة البخار، المتتصاعد وانتظره غداً، لحظة خروجهم جميعاً، فلا يرانا أحد ، يتمتم في آذنى بكلمات لا أدركها، يجتاحتني عمار النشوة، فأتركه وأجرى إلى الداخل، قبل أن يلمحني أحد، ويقفز هو في خفة من فوق السور، أخفى رهبة المرة حتى لا تنطق بها إنفاسى، وأنفن رعشة الأمل المناسبة، بعدما تسربت مني السنون وتابعت، فأظل أحلم بقسماته وعمرته، واستعيدهما عندما أشم بقایاه على خدي، وأبتسم لنجاح لقائنا، هل نامت أعين



أعرفها، وأكدت هي قدرته على فعل
المستحيل، بعد ماتأهل أكاديمياً في
الخارج. قلت: كيف؟ قالت: انظرى ..
رسم على القفل هذه المرة جدوا
ثلاثياً. احتوى تسعه مربعات صغيرة،
وزع فيها حروف، ظنتها في البداية
اسمية، لكنها ظهرت، مفرطة، فكك
أوصالها تماماً وزعها، كان يضفت على
زرفتبدو حروفاً، ويضفت على آخر
فتكتمل العبارة، كنت أرى الحروف
تتجتمع تحت عيني، تكتب اسم القادر
لامحالة، أظنه اسمه هو، استطاع
بازراره فتح القفل مرات ومرات،
وأقسم على إغلاقه عندما أريد،
ونصحي في حالة الحاجة، بعرض
القفل في مصحن البيت، يرقب القادمين
ولابرونوه، فتأتي كل ليلة أنتظره،
أنسحب بهدوء، ولاتحس أمن النائمة
باتراقي المتسللة، أجده.. ينتزعني
ويطير بي، أنشر أيامى على هواه،
وأحكى له عن بواباتى التي وقف
عليها أنا ديه، لكنه بعد هنيبة يرحل،
سألته: هل ستدق الباب يوماً ولا تهاب
شيئاً؟، فارأى كيف سمع ذات العبارة
مرات ومرات، ولم يستجب لها أبداً،
وسلمتني مفتاحاً واحداً لقلبي الذي يبدو
جديداً، عدت أريد في داخلى، عندما
لمحته في الطريق، فتفقد أمامي بعرقه
الذى أعرفه، وقصماته التى رسمتها، أى
رماد تحولت إليه نيزانى، فلم أشعر
شفتيه، لأن ليس من يقبلهما، ثم
بأى وهج.

وانفلت مني هارباً وهو يقول: سأضم
سبرك إلى بقية الأسرار. سألت نفسى
عن حاجتى لكونية ذلك القادر، ولم
أخزن كل هذا الوجه فى انتظاره؟، أكاد
أبصره الآن فتياً، يحشر مفاتيحه فى
كل الأقسام، يفتحها ويغلقها كما
يسأله، كى تتساوى كل الأقسام، وأهمس:
وهل تتساوى كل المفاتيح؟، لم أتذكر
الآن كلمات العشق التى كانت تتطلب
وراثى، فاتمehل حتى توازى بين الخطاء،
أعن اليوم الذى وعيت فيه وهج الدماء
الأول، وفشلى غنى العثور على مفتاح
لقلبي، أجزم بأننى لن أتأمله باطمئنان
وعلى مهل، وأن القسمات ليست
قسماته، وأن العرق ليس عرقه، هناك
شيئاً آخر أبحث عن مفتاح له،
أيامى.. أفكارى.. أمى.. أبي.. إخواتي..

حياتى كلها، قلت سأتجو من كل هذه
الحبائل، فذهبت إليه كما وعدنى،
وسلمتني مفتاحاً واحداً لقلبي الذي يبدو
وأن النساء يعظمنه رمزاً لشهواتهن
لكى يصلبهن يوماً على نخلة، وفمه
فاغر لغبار الهاجرة، فيسكن الخمر
على قدميه، ثم يأكلن عينيه، ويندين
شفتيه، لأن ليس من يقبلهما، ثم

لأول مرة

شها الكيالى

الأردن

بين الكلمات المكتوبة
في قاموس سري
فيه معانٍ ليست موجودة
في أي كتابٍ آخر
خبيئٌ كلماتك في ناموسك
دعها بين ظلال الشفق
يعصرني الشفقُ ويضيّني
وسؤالٌ ينتصب أمامي
كيف جناح وردي يأتيني
تغمرني كلماتُ الطيف الأولى
ترفعني لعدار النجم لأول مرةٍ
تترافقُ في نبضي الأصداء
لأول مرةٍ
لا .. لا تختلاشي
مازال خيالك

حين لمحتُ الطيف يمرُ رهيناً
قرب النافذة الخلفية
ولأول مرةٍ
احسستُ كأنني
أحبو فوق رسوم الزمن الآتي.
من خلف الأبراج العلوية
تغمرني الشمس
وتبهرنى بسمة هذا الطيف الآتي
 أمسكتُ بخطيط الشمس كأنني
لن يأتييني هذا الخيط بيوم آخر

وجلستُ بحرف النافذة
أردد أسماء وأسماء
أزرع في الفلكة أحرفك الأولى
أمضي أبحث عن عمري



فينبض جمري
تتواءى كل الأشياء أمامي
والسمحاء تخبوها الأجواء
المفتوحة

أطير أطير سحاباً
فوق عالم هذا الكون الأكبر.

يغمر كل عوالم دنياي
مازال هزيع الليل
يجئ بضوء الفجر
لأول مرة

يزرع نجم الأصداء الضئيلة
في عيني

فأناغم عسف الروح

فجأة

حسين حمودة

تصير سُكَّات ..	مسامير ودمٌ وعویل
يُقْمِي عَلَى كُشْكِ المَرْوَرِ	ـ تَائِمَّرْ ـ وَتَرْمُوسْتَاتْ ..
وَيُطَاطِبِي عَمْدَ النُّورِ	طَوَابِيرْ مَسَافِرَةً لِلْفَرَاغِ
فَجَاءَ : الْقِزَانْ مَكْسُورِ	(مِنْ كُلِّ عَمَرِ)
وَالصِّرْخَةُ : مَانْشِيتَاتِ	جَدُودُ ، عِيَالَ بَيْنَاتُ ، وَأَمَهَاتِ
	(مِنْ كُلِّ جَيْلِ)
مسامير ودمٌ وعویل	إِيَّهُ اللَّى جَابَنَا هَنَا ..
وَفَجَاءَ نَصْبِعَ وَحَدِّنَا	مِنْ إِنَّا اللَّى جَابَ دَآ هَنَا ؟
.. مَعَ إِنَّا عَارِفِينَ	أَخْوَنَا هُوَ الشَّارِعُ دَآ
أَخْوَنَا (لِسَه) الشَّارِعُ دَآ	وَالْحَارَةُ دَى أَمَنَآ ..
معَ إِنَّا فَاكِرِينَ حَبْلَيْنَ غَسِيل	.. اتَّبَرُوا لِيَهُ مِنْنَآ ٩٩
فِي حَارَةِ ..	مسامير وصوت
(كَانَتْ) ..	فَجَاءَ عَيْنِينَ باصِّهُ عَلَى الشَّابِبِيكِ
أَمَنَآ !	.. تِطْلِيرْ ..
	وَفَجَاءَ الدَّوْشَةُ فِي نَهْوَدِ الْبَيْنَاتِ

ثلاث قصائد

د. ليلي الشربى

لم تر العملة وهي تسقط

قطعة العملة

كلمات

انطلقت الكلمات في حجرة
الاجتماعات
عنفية حادة قوية
ارتطمبت بالحانط
عادت
قوية عنفية حادة
سقطت على الورق
مصفوفة
امتصها الورق
اخترق هواء الشارع الشرفة
طارت ورقة
التقطها عابر

قطعة العملة
الوحيدة
 الأخيرة
 القبيها في الهواء
 سقطت عليها الشمس
 طلقة سريعة مدوية
 اخترقت عيني .
 عصفور ضرب الهواء بجناحه
 اقترب من شجرة
 كاد يتوقفا
 زفرد
 فرد جناحه وطار
 طارت غيني وراءه



لم أسجد	قرأها
من أين لي بسجدة	أعجبت
لآلهة سجدن لتناها البركة	صاح في عنتف وحدة وقوه
اخترق القبو مارد	تعالوا
كبير الباب ليسعه	اسمعوا الكلمة
علا السقف ليسعه	فجأة توقف
قلت : أمي	ابتلع الورقة
قيل من أذن لك	وأصل سيرة في صمت
نحن لم نقرها بعد	
نحن لم ندرسها بعد	
انزعى الطرحة عنها	
انزعى الجلباب عنها	
اغططيها عارية لنا	
ثعدها إليك	
آلهة يسجد لها الجميع وأنت :	
صرخت	
قلت: أمي	
صرخ الصدى	
رن في عيونهم صمتاً	
يسألنى الصمت	

تماثيل

تماثيل متغيرة وكبيرة
سجيت في قبو
اسمي متحف
مشيت مع من يعشون
بيتهم وحولهم
أمائهم وخلفهم
 وأشاروا إليها
قالوا: تلك آلهة النسوة
اسجدى

الدنيا مليانة

أساتذة كيميا

يسرى حسان

قبل أوانها فواكه شجري بتسقط
ولاحتى محسن بقى زى الأول ممكنا
وتحاول تجرحنى على أول ناصية نتقاسم انا وهو فى حاجتنا وسته
تقابلنا فى سكتنا البنت تسقينا شاي بحليب
ويصمم عادل عباس أستاذ الكيميا وانا وحية المصحف ما عملت
أبو نصار العبدوانى المعرف يكتبلى حسابى
أبو نصار العبدوانى المعرف يكتبلى حسابى
الصفر فى شهادتى بالعربى
ولاذكرت انى فى يوم ح احلق دقنى
او ألبس دبله فى صباعى
ياه
دى الدنيا مليانة أساتذة كيميا
ولاحتى فكرت أخذ درس عند
وستى مش عايشة دلوقتى كانت الكيماوي اللي اسمه عادل عباس
تلهش لى فى شعرى وأنام او أخذ منها تقوم البنت تحاول تجرحنى على
أول ناصية قوش أقعد بيهم ع القهوة خمستاشر قوش
واشرب شيشه وشاي
وحتى لو كنت عملت حسابى
هل كنت اقدر اخلى العصفورة
وقفت على الفرش وأكلت أصحابى
لي وأدخلت وياما كام صورة ؟
بلاش



دی الدنيا مليانة أستاذة كيميا
كل أصحابي تقريباً نجموا في
وأنا كنت ضربت أصحابي في الكيميا
الحارة لماذا رفضوا يخلوني ألعـب
وأنا مش لاقى حد ألعـب وبـاه
ويـاهم

«العودة إلى الممنفى»

كأدب ثوري

«لقد تقاضت الحرية ثمنها كاملاً،
فلتكن الحرية إذن كاملة»

فريدة النقاش

أنتا سوف تتبين فيما بعد أنه ليس ثمة روح موحد...

أما الرؤيتان الأخريات إلى جانب الثورة فهما مصر والخشد إذ تتجلى مصر لا كيد فحسب وإنما كائن حتى له روح حيث يدرك نديم «أنه يسلم نفسه والأول مرة إلى ذلك المخلوق الكبير الفامض الذي كان طوال هذه السنين يتعرف عليه. هذا المخلوق الذي يسمونه «مصر». وترتبط مصر بالسرد روح الشعب وما يحل بها من بوشائع عميقة لازراها وإنما تحسها من كل من التوهج والخمول. رغم

في رواية «العودة إلى الممنفى» التي كتبها أبو المعاطي أبو النجا ليسجل لحياة عبد الله النديم الخطيب الشعبي للثورة العرابية سوف نجد أن فكرة الثورة هي البطل الحقيقي بالرغم من وجود أبطال جاءوا إلينا من التاريخ الواقعى أولهم «نديم» ذاته. وفكرة الثورة هي واسطة العقد لرؤى ثلاثة تنتظم العمل كله الذى تحوم فوقه طبالة السرد روح الشعب وما يحل بها من توهج أو خمول وذلك التفاعل الدائب بينهما أى بين التوهج والخمول. رغم

* أخذت المقتطفات من الطبقة الثانية للرواية الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٠.

ووالحشد الذي هو وقود هذه الثورة وهدفها الأخير، فحين تفعل الثورة فعلها في الحشد «ذلك الحشد الظاهر المرح، فإن الناس يتكلمون وكان مثاث الأيدي قد رفعت فجأة عن أفواههم». فالثورة هي صنف الحرية القصوى .. هي الزمن الذي يقف فيه الفلاحون الذين انحنوا طيلة عمرهم «منتصبين في وجه الشمس»..

«لا باعتبارها بطولة فرد، بل ببطولة شعب، فالشجاعة كالجين كلاماً مرض اجتماعي شديد العدوى..» ولم تكن هزيمة العرابيين هزيمة جيش في معركة مع انجلترا أقوى قوة إستعمارية في زمانها في نهاية القرن التاسع عشر فقط «ففي الواقع أن جيش نديم الشعبي قد تعرض هو الآخر لهزيمة من نوع أشد».

«ذلك أن الدولة التي هزمت الجيش المصري في «التل الكبير» لم تقتتن بهذا النصر العسكري، لقد خلع الأوروبي المنتصر حونته ووضع سلاحه جانباً، وارتدى بذلك من نوع رداء، وتمتنق بمريمية بيضاء، وتسلل إلى مراكز مصر وقرراها يفتح هنا وهناك محلات تجارية يعرض بضائع أوروبا، ويجواره برميل من الخمر الرديئة، وأمام الدكان بضعة مقاعد من القش سوف تكون نواة لمقهى تخدم فيه زوجته أو ابنته زبائنه من القرية أو المدينة. ويجواره أيضاً خزانة

أما الحشد الذي تطلقه الثورة فقد غدا «الوجه أكثر تعبيراً، وأكثر فضولاً وتنطلاً، انه لا يترك نافذة أو شرفة أو سطحأً أو فرع شجرة، انه يهتف ويغنى ويزغرس..» و شأنه شأن مصر يتحول الحشد إلى وجه كبير له ملامح كل الوجه وله أيضاً فراداة كل واحد منها. فمن قلب هذا الحشد تتفرد وجوه بلا حصر.. يختبر نديم ذلك في كل محنة.. وكان هزوبي بعد فشل الثورة العرابية لتسع سنوات كاملة هو المختبر الأكبر لحقيقة هذا الحشد ولتفرده.

«ووقتها أسلم نفسه حين قال له المأمور: لاتحاول أن تذكر نفسك فانا أعرفك.. أنت عبد الله نديم.. ولم يصدق عينيه حين أشار له المأمور ليأخذ في مسيرته طريقاً آخر حتى لا يلتقي بالقوة التي تتبع المأمور.. ولم يصدق نفسه حين قدم له المأمور كل ما معه من ثقود.. وهو يعتذر لقلة مامعه..»

وبحين تنكسر روح الحشد المتوجهة

«التنكية والتبكيت» هي المجلة الساخرة التي حررها نديم في ذلك الزمان وقامت على الحواريات الاثيرية إلى قلبه كمحظى لم يتحقق كما كان يقول له صديقه اديب إسحق.

لكن نديم وهو يتطلع للخروج بالحشد من اليأس الهمت دائماً فكرة مركبة هي «أن التقدم دائمًا نتيجة جهد جماعي وتجمعي» وهذا هو أيضاً أساس الثورة.. ولذا «فطوال حياته لم تعذبه سوى حاجة واحدة، تلك هي حاجته إلى أن يعمل شيئاً ما من أجل الناس».

يقوم السرد في أجزاء الرواية الخامسة على ضمير الغائب- الرواية العليم بكل شيء، لكن هذا الضمير نفسه يتوزع ليتقمص وجهات نظر متباعدة، ويعطى نفسه بدرجة من العدل لكل من نديم وعرابي كطرفين في معادلة الثورة، طرف الشعب وطرف الجيش.. وإن كانت الروح العامة للعمل تتحارز غالباً لنديم الذي تتفجر أسلنته الجوهرية.. ولما يصبح كل من العدل النسبي والانحياز الدائم أداة تشكيلية رئيسية في العمل، جنباً إلى جنب ثناياً تتجاذب بصورة دائمة هي جدل النسبي والمطلق، الفردي والجماعي، الشرق الغرب مع تلخيم عبقري في نهايات الأحداث يرقى لمستوى الحكمة ليشكل هذان العاملان المتدخلان المبدأ

حادية سوف تكون نواة لبنك صغير، يجمع رأس ماله من زبائن الدكان والمقهى ثم يعيد إقراض نفس الزبائن نفس الأموال باقطع نسبة من الربا، وفي وقت قريب يصبح هذا الوافد الغريب المالك الحقيقي لأرض القرية وعقارات المدينة.. كانت البذرة التي بدأ نديم حربيها في الماضي قد أصبحت غابة مظلمة.. وكان جيشه الشعبي قد أوشك أن يفقد ثروته.. وهي سلاحه.. ثم أنه يوشك الآن أن يفقد شخصيته ووطته.. وقد يكتب نديم «إن من فقد المواطن فقد الوطن». وإذ كانت هذه

المجموعة من صفاتك نديم وشخصياته تصنف في النهاية شخصية مصر فقد كانت مصر تفقد هذه الشخصية عاماً بعد عام، بدون حرب وهي تلبس، وهي تأكل، وهي تتكلم وهي تتعلم، وهي تشتري، وهي تبيع وهي تسكر.. وهي تمرح.. وكان على نديم أن ينقذ هذه الشخصية من الإنحلال لتصبح قادرة على مواجهة الاحتلال وصنع التقدم..»

ومن قبل وفي ظل توهج الثورة كان نديم قد اكتشف أحدى خصائص الشخصية الوطنية حين اكتشف لذهوله أن جمهور «التنكية والتبكيت» بين الأعيان لا يقل عن جمهورها بين بقية الشعب..، فروع النكتة والساخرية أصلية في كل طبقات الشعب المصري

التشكيلي للعمل كله حيث تقوم وحدة وعربية...»

أى الوسيط بين الثورة وأعداء الرواية على تناقض لا يجد حل له أبداً.. لأنه تناقض غير محلول في الواقع الموضوعي بين ثورة بورجوازية جذرية الطابع أن تقبل مثل هذه الوساطة التي كانت أحد الطرق المؤدية لانهيارها هي نفسها وإحتلال البلاد التي خانها أعيانها.. إن الثورة هي نقيس المعالجة.. وتبقى هذه الثنائية قائمة تفعل فعلها طيلة الوقت لتتخلق مجتمع رأسمالي في زمن التوسيع الاستعماري والاحتلال المباشر الذي يجعل مثل هذه الثورة مستحيلة إستحالة تراجيدية..

هناك ثنائية البسف و القمة.. وهى ثنائية مركزية تحيلنا مباشرة إلى الشعب والأعيان وان كانت فى أحد تجلياتها هي بين نوعين من المثقفين الثوريين القادة..

«فإذا كان الشيخ جمال الدين

«الأفغاني»، لألف سبب سيبقى فى هذا المكان المرتفع بحيث لا يرى ولا يتمتع إلا مع الصورة العامة للناس والمشكلات، فإنه هو تديم لألف سبب آخر سيغوص بقدميه فى الأوحال وفي التفاصيل والأحداث والواقع حيث غایته...»

إن للأعيان أسماء ولكن للحشد، للجنود الفلاحين روح.. عاما سرعان ما يتخلق المعاذل الموضوعي لتحللها.. معادل يستمد مفرداته من الطبيعة «ولكن ماتقاد الأرض تتشقق حتى تعتد الشقوق إلى العالم كله.. إلى البلاد والأسر والعلاقات، ويصبح الجميع الحرية باعتبارها العدل «لقد كان يرقب الدور الذي يقوم به الأعيان فهو بدءاً ونهاية.. مجرد أفراد..» تنحصر علاقتهم بالأرض المشقة السوداء كائناً يؤدون مهمة الوسيط بين شريف

والانتصار العظيم كالفشل العظيم
كلاهما فرحة للوقوع في الحب
والماضي يصبح غالباً في نظر أي
شخص يلوح له المستقبل مزدهراً.

وكان كل شئ قد احترق في
الاسكندرية عدا قدرة بعض الناس على
تزييف الحقيقة. وعن عبد الله النديم
وجمال الدين الأفغاني منفيين في
الاستانة.

«ها هما بلا عمل، بلا أحلام صغيرة أو
كبيرة يتاملان وجه الحياة حين يكون
كل شئ مباحاً ومتاحاً عدا الحرية
والأمل...» وعلينا نحن الذين نقرأ
العمل ونتعرف على معنى الحرية
والأمل من وجهاً نظري القاذفين
الثوريين أن نشحن هذه الخالمة بروح
العمل إذ ينطبق عليها قول التفرى:

«كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة»،
تماماً مثلما يتفرد الحشد الهائل في
رجل وحيد يستمد من صورة القارس
الشعبي ملامحه، أو تحول مصر
المحروسة إلى أرملة جميلة شاحبة
الوجه من شدة البؤس لكنها مستعصية
أبداً على فارسها العاشق بعد أن أصبحت
نهياً للأجانب.

ويستخدم الرواى تقنية المقابلة
بكثرة كناية عن حقيقة العالمين الذين
يستحيل التقاؤهما إلا بالتجاوز وهو
المستحيل في ذلك الزمان بدوره إلا إذا
كان أفق الثورة الشعبية قد انفتح

يبحثون في ش quoتها عن بداية الحياة
أو نهايتها.. كل وحده، يبحث وحده..
ويعيش وحده.. ويموت وحده..»
يستخرج من تراب المجتمعات
والفيوضات والكوراث مفردات
التحلل..

ولكن معادلاً آخر لنمو الروح الثوري
يتजذر أيضاً من الطبيعة «ففي الوقت
الذى كانت فيه قوى الطبيعة التي ظلت
طوال الشتاء حبيسة في أعواد الشجر..
وفى باطن الأرض قد بدأت تنفجر فى
الزهور والشمار، وتنتشر مع الرياح
المحملة بحبوب اللقاح وروائح البحر
والنماء والطين اللزج... ثم... ولكن
لحظة العيالاد.. ولو كان ميلاد جرعة
وطنية.. تسبقها دائماً لحظة إندفاع
الحياة..»

بذلك فإن للمكان الذى تتناوب عليه
الفصول روحه إذ أن أعماق المدينة
«تنبض بكل مخالفه عبد الله النديم فى
المحروسة، وكان فى حاجة إلى وقت
أطول ليتسع هذا النبض».

تتجاوز خلاصات الكلام أو خواتيمه
 مجرد التعليق أو التلخيص البليغ
لتكتسب شعريتها بلاغة كثيفة خاصة
بها ترفعها لمستوى الحكم الشعبية
التي يصدقها الناس وهم مغمضو
العيون «أن نديم يحبه ذلك النوع من
الحب الذى أصبح لايطمع فى أكثر منه،
حيباً خالصاً حتى من العرفان بالجميل»

لتكتسح في وجهها كل من الخديوي والسلطان والأعيان والإنجليز وقبل ذلك كل.. الأوهام. «وكان الخديوي غارقاً في لهوته، والناس غارقين في بؤسهم ولا أحد يدرى بغيره». كذلك استخدم السخرية التي كانت

لتعرف إلا رحلتين، رحلة الأغنياء للحج ورحلة الفقراء للعمل سخرة في القناة أو التفاتيش أو النيل أو الترع، يحمل فقراوها دائمًا ويحققون حالمهم أحياناً برحالة لاتقل عن رحلة الأغنياء للحجاز - رحلة إلى طنطا لزيارة سيدي أحمد البدوي في أيام المولد».

بينما يقف الجزء الخاص بهروب التديم لتسع سنوات كعمل شبه مستقل يشكل رواية قائمة بذاتها يجري فيه تكثيف واحدة من الخصائص البنية للرواية كلها ألا وهي تحول اللغة السياسية في غالب الأحيان إلى لغة شعرية.

ومع تطور السرد، ونمو بوادر الثورة تأخذ بدايات الفصول منحى جديداً، ففي قصل بدوى على سبيل المثال لا يبدي القص بالعمدة أو الأعيان وإنما ببناء القرية، وتتبلور تدريجياً خصائص منظور الرواى للشعب والثورة ولحقيقة الانقسام الطبقي والبناء النفسي للأبرز ممثلى الطبقات وهو يوزع صفات الزعيم الشورى على ثلاثة من أخلص أصدقائه «نديم» في الأسكندرية ملحاً في ذات الوقت على واحدة من أفكار الزعيم الرئيسية وهى

أن العمل الذى يعتمد على شخص واحد مهما تكن عظمته وقدراته محكوم عليه بالفشل الذريع.. وكان ذلك حاصل برأيي وعالمه تموج قيعان العدن والقرى برواياتها «وبدوى رغم أنها

بدورها أدلة من أدوات عبد الله التديم في عمله الثورى التحريرى، وفي هذا العمل فإن السخرية موجهة غالباً لأعداء الشعب أو للشخصيات المتذبذبة التي تتعامل مع الروح الثورى بمنطق الحسابات والربح والخسارة.

وتسرى روح التراث الشعبي البطولى في عالم الرواية خاصة حين تكتشف تصورات الناس عن قدرات كل من عرابى ونديم الخرافية جنباً إلى جنب أساليب القص الحديثة التي تتعامل ببراعة مع مفردات الحياة اليومية وجزئياتها يصوغها وعي تاريخي ثاقب تزيده وضوها حبكة تقوم على تتبع الأزمنة التي نادراً ما تتدخل، ويلعب الجوار -أى التعدد- دوراً مركزياً وهو مسهل عملية تحويل الرواية إلى مسلسل تليفزيونى كان من أنيج وأعمق مقدمه التليفزيون المصرى.

وتنفتح الرواية على عدد من الروايات الأخرى، وإذ يكون بهذه الكلام للأعيان وعالمه تموج قيungan العدن والقرى برواياتها «وبدوى رغم أنها

وداعية لإنشاء الجمعيات والمدارس. ينتهي النديم تاريخياً للهامش
الاجتماعي فهو بن خباز فقير، يخرج
من أعطاف الشعب ويتربي في حضنه
بينما يتربى عراقي في الجيش، وحين
يتراجع عراقي أمام منطق الأعيان حول
الدستور يصرخ فيه نديم:
- ولكن مثل هذه الانتخابات التي
يغيب عنها الشعب لن تقدم للمجلس
غير هذه الحفنة من الأعيان.
وبالرغم من أن نديم كان قد اختبر
وطنية الأعيان في دعوته لإنشاء
الجمعيات وكانت استجابتهم له في
كثير من الأحيان إيجابية إلا أنه بحكم
الخبرة الأساسية والانتماء والتربية
الشعبية استشرف الحدود التاريخية
لهذه الوطنية، وحين كان الجيش
يحارب أخطر معاركه ضد الاحتلال
الإنجليزي أخذ نديم يبحث عراقي على
تطهير الجيش من الخونة ومواصلة
المعركة بمعها الشعب.

وكانت مخاوف النديم من الأعيان
تنمو قدر نمو موقفه الجذري فهو
لا يتصور أى خير يرجى من مجلس
نواب لا يضم سوى هذه الحفنة من
الأعيان التي يتتصدرها رجل اسمه
سلطان باشا كان أحد الأدوات التي
استغلها إسماعيل باشا في نهب الصعيد،
وذهب إسماعيل باشا وبقيت الأداة
لتتصدر الحركة الوطنية، فلئن أمل يعلق
على هذه الحفنة وأى مستور يمكن أن
كانت هذه بعض خصائص البنية
الروائية لعمل تستطيع أيضاً أن تطلق
عليه اسم الرواية التسجيلية التي تؤكد
وسائلها مع الرواية التاريخية
بخلفيتها الملحمية التي تحركها
وتلهمها الحشود وهي شاهدة على وقائع
تاريخية كبيرة تسجل لمراحل
ومنعطفات رئيسية في التاريخ
الوطني.

إذا كان أبو المعاطي أبو النجا
يستعيد في «العودة إلى المنفى» بعض
التقاليد التي وضعها جورجي زيدان
مؤسس الرواية التاريخية العربية في
نهاية القرن الماضي وأول هذا القرن
وذلك حين يشير إلى مصادره في نهاية
العمل، فإنه يختلف عنده في المتعلق إذ
بدأ زيدان من أرضية مثالية، ترى أن
التاريخ من صنع أبطال خارقين
اختارهم القدر بينما تنا أبو النجا
منحي واقعياً رأى التاريخ من صنع
ملايين البشر، ففتح بذلك آفاقاً
بلاده لتخلق الأحداث والوقائع.
وتركما المشاعر والأحساس في صراع
ليهداً بين طبقتين يدفعهما المحتل
للتقارب دون أن ينبع في توحيد
رؤاهما ونظرتها لمدى الثورة و يأتي
لنا هذا العالم - بسبب واقعيته - وهو
في حالة تخلق ونشوء عبر حركة دائمة
لاتهدأ عنوانها التغيير الدائم.

تبناه»

مستويات فلسفية وجودية فضلاً عن المستوى الأول الثوري.

يبقى هناك سؤال مشروع فإلى أي منفي يعود نديم هل هي الاستانة فقط أم المنفى الواقعى الذى مات النديم ودفن فيه بعد هزيمة الثورة وإغلاق مجلته الجديدة «الاستاذ» أم لعله أن يكون بالإضافة إلى ذلك منفي الاستحالات التراجيدية للثورة لم تتم حتى هذه اللحظة.. لكن الأفق المفتوح أمامها يظل وعده غامضاً لمن سيواصلون الطريق ولعل فى لقاء نديم بمعصطفى كامل ما يجعل مثل هذا الأفق أملأ لكل الثوريين.. لكل من يؤمن بهدف كبير.

«هذا ما يمثله الشيخ جمال الدين، يمثله ولا يقوله فقط هذا ما كنا نفتقد فى بلادنا. انه لا يريد سوى أن ينقلوها فى بلدنا. فكرته إلى الآخرين، وأن ينقلوها إلى غيرهم، وفي الوقت الذى يمكن أن يموت هو أو ينفى أو يعذب تبقى الفكرة، تبقى دافعاً حية وجديدة لدى من يؤمن بها وبهذا لا يكون الموت أو النفي أو حتى الفشل نهاية لشيء وبهذا لا يفقد شئ معناه، ولا يكره إنسان حياته أو يحتقرها. بهذا يرتبط الماضي بالحاضر والآحياء بالموتى ولا يصبح النصر والهزيمة نهاية لشيء».

قال نديم هذه الكلمات لواحدة من أهم شخصيات العمل الجديره بدراسته

«العودة إلى المنفى» هي من زاوية ما تراجيديا نمو الرأسمالية وقهرها في ذات الوقت، فالقوى المتصارعة هي قوى اجتماعية وسياسية وأيديولوجية لعصر يبرغ وهو محكم بالأقوال لحظة بزوجه، إن حتمية الهزيمة لم تكن فحسب في وقائع التاريخ التي نعرفها حول هزيمة العرابيين، ولكنها أيضاً كامنة في الولادة المأساوية لرأسمالية ناشئة في بلد صغير يصطدم بالغول الاستعماري الذي يمد نفوذه على مناطق شاسعة من العالم ولا تسمح هيمنته باستقلال أو تطور رأسماليات جديدة، هذا الارتكاظ الدرامي هو أساس بنية الرواية وهو أساس التوزع الجنيني الوجل لطابع فلاحي شعبي كان وبدا بالتجاوز، وهو وحده الذي كان سيضمن للثورة أن تتعمق وتتوسّع رقتها وتتدوم حتى النصر، ثورة لا توجه فحسب ضد الاحتلال والخديوى والسلطان وإنما ضد الأعيان كذلك كما طمع نديم وحلم (فالقراء هم أصل كل شيء)».

إن الواقع الاجتماعي التاريخي هو الذي استدعي هذا الشكل للرواية، ومن هنا هذا الصراع الدائم في قلب نديم نفسه والذي لا يجد حل إلا بدا حتى ليبدو طيلة الوقت كأنه بطل منقسم على نفسه وهو ما يجعل الشخصية أشد عمقاً وإمتلاء بحيث يمكن قراءتها على



مستقلة، وهو عبد العزيز حافظ أحد نموذجية للرجل العادى.. البطل رعاة نديم فى بداية حياته والذى حلم المتوسط الذى لا يكفى عن إجراء فى البدء «بتلك الحرية الجميلة التى الحسابات لكل شئ وأن يتلمس الأمان يفعل فيها أى شئ» ثم تطور كشخصية لنفسه ولأسرته فى زمن متقلب.

الديوان الصغير

«إني لم أتجرّ بآفكارى.. وإنما أخدم وطني وأهلى
بما أقدر عليه من قول»

عبد الله النديم

الأستاذ / يونيو ١٨٩٣

عبد الله النديم:

إذروا من مرض الأفونجى

اختيار وتقديم وتعليق:

صلاح عيسى

نموذج فريد

للمثقف الموقف

صلاح عیسی

فى سبتمبر من كل عام يتذكر الناس الثورة العربية التى تفجرت خلال عام ١٩٨١ ، ووصلت إلى ذروتها فى ٩ سبتمبر من ذلك العام، حين قاد الاميرالى (العميد) "احمد عرابى" آليات الجيش إلى ميدان عابدين ليطالب الخديو "توفيق" بإسقاط الوزارة المستبدة، وبتأليف مجلس نواب على النسق منها.. كان والده فرانا سنكدرى الأوروبى!

وبين زحام الوحدة والأفكار فقيراً .. يعيش في زقاق ضيق التي تحتشد على خربطة الثورة من أذقة حى الجمرك ، أرسله العربية، يبرز اسم عبد الله إلى الجامع الأنور لكي يدرس تدريم [١٨٩٦-١٨٤٣]، الذى كان به، لكنه لم يصبر على دراسة

الكتب - والأفكار - الميّة، فهرب الشيّخ "جمال الدين الأفغاني" إلى الشارع لكي يتّعلم من الناس لتهوّه متأثراً بالقاهرة، حيث كان ، ويستمع إلى الأمثال والحكايات يوزع السعوط بيمنته والثورة والنواود، فيختلط بالفلّاحين ، ويشتغل بالزراعة، ويعمل بأحد هو ما كان يبحث عنه ليعرفه: مكاتب التلفراف، ويحتشد في حرية العقل والإرادة، واستقلال مجرّته الفقير، كما قال فيما الوطن ديمقراطيته.. والمعدل بعد ، كل سكير حشاش، حزب بين الناس..

يلعب يلعب الدُّمنه، وفريق يقرأ وكأن طبيعياً وتلك هي مصادر كليلة ودمنة، أغلبهم سكارى ، الوعى الذي اكتسبه النديم من وكلهم حيارى، أعبدهم إذا رأى حياته الفريبيّة، أن يكون في الخمر هام، فلا يرد إلا بالحمام، طليعة المثقفين الذين اجتذبهم وأصلحهم نواسى العمل ، تمرد العسكر - في فبراير ١٨٨١- واقنعوا أشعبيّي الأمل ، لا وأن ينتهي منذ ذلك الحين إلى يركعون ولا يتصدقون ، الثورة العربية، فيلقى بنفسه ويحلقوه ولا يصدقون، إذا بين تيارها الجارف ، ويتميّز حدوث كتبوا، وإذا انتعمتهم خاتوا وسرقوا، وإذا هديتهم ضلوا ومرقوا .. ويتنقل بين هؤلاء ، وبين المثقفين الذين زحموا وحوانيت التجار وقصور التحررية الديمقراطية، هدف الأغنياء وخزانة الكتب يقرأ تشكيل "عصبية من القراء" ويكتب ويتحسّس نبض الوطن، تنبه الأغنياء إلى أن الفلّاحين الذي كان "الأوروبيّون" قد كل ما في الوطن من خير عظيم، احتاطوا به - إنذاك - من كل جانب : يديرون ماليّته، بدعوى لا يستفيدون منه، وأن يصيّع الحفاظ على حقوق الدائنين، المثقف الوحيد الذي لم يتراجع ويمثلهم في مجلس نظاره اثنان ، أو يهادن ، أو يمسك العصا من من الوزراء إلى أن قيادت المنتصف، أو يتخلى عن الثورة "النديم" أقدامه، إلى مجلس ، حتى عندما مال ميزان القوى

لصالح خصومها، وتنكر لها بعض أكتوبر ١٩٨١ بعد أسبوع من زعمائها، على نحو يجعله مظاهرة ٩ سبتمبر، لتحمل محلها نموذجاً فريداً للمثقف العوقف "الطائف" .. فكانت صحيفته إثارة في تاريخ الفكر العربي كله . وتنوعية وتنظيم وتحريك، لعبت والمختارات التي يضمها هذا دوراً هاماً في حشد كثيرين في البيوان الصغير هي بعض من صلقوف الثورة..

إنتاج عبد الله التديم "الغزير" والقراءة العابرة في هذه
الذى تبقى منه الكثير، على المختارات تكشف عن جوانب من
الرغم مما تبده من خطبه عبقرية التديم ككاتب وصحفى ،
المرتبطة التى لم تدون، ومن تتعدد الاشكال الفنية التى يلجا
مخطوطاته التى كتبها خلال إليها للوصول إلى قارئه
سنوات اختفاء التسع، ولم والتأثير فيه ، وتتنوع بين
يمهله الأجل لكتى ينشرها، إذ لم القصة إلى المقالة ومن الزجل
يعش بعد ظهوره سوى أربع إلى الحوار ، ومن التنكية إلى
سنوات فقط ، نلى خلالها مرتين التبكى.. وتتعدد الموضوعات
إلى "ياما" ثم "استانبول" التى التي يكتب فيها، لكنها تنطلق
مات ودفن بها ، بعيداً عن الأرض
الثقافية القومية والدعوة للثقة
التي أحبها والوطن الذى دافع
عن قضيائاه.. وقد اخترتناها من
بالنفس ، والتحذير من مرض
مجلة "التنكية والتبكى" أولى الأفرينجى
الصحف الثلاث التى أصدرها ، إذ
تتميز عن "الطائف" والاستاذ
بانها أقرب صحفه إلى شخصيته ذلك إن النظرة العابرة إلى ما
يجرى اليوم تكشف عن أن وباء
فقد صدرت فى يونيو ١٨٨١ -
وبعد أربعة شهور من أول تمرد الأفرينجى قد اجتاحت خريطة الامة
قام به العسكريون وتوقفت فى والوطن.



العشاق الذين خاطروا في وصاله
بالأرواح والأموال وكلما وصل إليه واحد
سحره برقة القاظه وعندية كلامه
وسلب عقله ببهجة يحار الطرف فيها
وعزة لا يشاركه فيها مشارك وهو هو
غزال في الخفة غصن في اللين بدر في
البهجة جنة في المنظر تمر عليه
الدهور فتزيده حسناً وتتوالى عليه

العشاق فتزاده هياماً واهله فرحة بهذا
البعيد الفريد والطالع السعيد يعشقون
الموت في حياته وقد اتفقا على
مارأه فارغ القلب إلا صباً ولا سمع
بذكرة بعيد إلا طار إليه شوقاً. نشأ في
العالم روضة ودار به. أهله يحفظونه
من الأداء ويدفعون عن الوشاء
بقائه في الوجود معززاً بأهله مؤيداً
والرقباء. وقد مات في حبه جملة من
بعشائره حتى لاتعد إليه يد عدو ولا

مجلس طبى

على مصاب بالأفرنجى^(١)

التنكية والتبيكية - العدد الأول - آيونيو
١٨٨١

يوجه إليه فكر محظوظ ولا يقرب منه استسلام للقضاء وترك النثار والتحمس
ومال مع أغراض هذا الصاحب وسار معه مفتاح.

في طريق لا يرى فيه أحداً من أهله فما هي إلا رشقة كأس حتى اصفر وجهه وارتخت أعضاؤه وذهبت بهجته فسلم جسمه الشريف إلى المشرق يتعلم علىه ففقطن له واحد من أهله وزاره في خربة لم يجد فيها غير شبح يعلل نفسه بالألماني ويصعد الضرفات وقد بزرت عظام وجهه وغارت عيناه وتتشوه وجهه وتبدل محسنه بقيائمه تنفر منها الطياع فبكى وانتصب وقال:

أى حياتى أى جنتى أى نزهتى أى مطلع عزى ما الذى امساكك أين جمالك البديع أين محياك الزاهى أين حستك الذى افنى الكثير من العشاق أين صحتك التى أثابت الدهور وهى فى عنفوان الشباب أين قوتك التى أسرت بها الاشباح أين رقتك التى جذبت بها الأرواح أين مراكان عليك من الحل والزيينة أين تاجك الذى مالبسه إنسان إلا افتخر على الوجود أية نفس ترك فى هذه الخربة ولا تقفيض حزنًا أى قلب يرى وهناك ولا يتفتر كمداً أى عين ترى تشوبه ذاتك ولا تطمس اسفًا. زحزح الهم عنى بجواب يبين الحقيقة لعلى أتدارك من أمرك سابقى وأحفظ من صحتك ماعساك ان تنشق به نسيم الحياة.

فتنفس المصاص تنفس الضعيف

وبينما هو يتباين بحسناته ويدل بجماله صحب أحد المسلمين واستماله بنفاق تميل إليه النفوس وتتعلق يخجل فظنن أهله أن هذا المضل من الأتقياء الذين لا يعرفون الله ولا يميلون إلى المفاسد وسلموه جنة حياتهم وروضة ثروتهم فدار به في الأسواق والطرقات وعرضه للعشاق تقبله جهاراً وتسليه على أصحابه وزينة صدره وقد علموا أن الجمال يأسر الجميل فتأخضروا من الغوانى من تعارض الشمس بحسنها وتكشف البدر بنورها فدرن في سبيل بيته يغازل أهله بنيفمات تحرك الجبان ومؤانسة تستميل الشجعان حتى سلب العقول وحولن الطياع وبغضن المحبوب اليهم وألهي كل ذى لب عن أفكاره وأنسنه كل مدبر مكان يتصوره من ثواب الحكم وغرير الأمثال وجعلن الجمال مبذولاً بلا قيمة والوصال منحوأ بلا مقدمات وذاك الصاحب مكب على هوا مغمى بجمع الغرباء واستدعاء الأعداء ومصاحبة الأشقياء ومسامرة الأغبياء ينام ومحبوبه قلق ويضحك ومعشوقه كئيب إلا أن هذا الغزال الطاهر العرض لما رأى أهله أهدره وأهملوه واشتغلوا بالغوانى وولعوا بخدمة الأجانب وانكبوا على الملاهى يتبعون آثارها

ورمقه بعين لا يكاد يتحرك جفتها وقال
بصوت خفي «لا يعز عليك جسم أمراضه
أهله» فأنكم تركتموني لصاحبى يدور
بي اينما دار فعرضتى لمن لم أعرف
طبعه ولا عادته ولا لفته ووكل بي من
يغرنى ويسلك بي سبل الغواية فلم أجد
بعدمها وتحاسب عليه.

فلم يكن إلا كلام البصر حتى ملىء
الفضاء باناس لا عدد لهم يقدمهم طبيب
بارع قد استصحب معه جملة من الأطباء
وساروا إلى تلك الجيفه واحتاطوا بها
يقلبونها عن اليمين وعن الشمال
ويقرعون مصدرها ويسجنون نجضها حتى
وقعوا على دانها وعلموا أصل مصابها
فحكموا على صاحبها بانتزاحه عنها
وعدم قربه منها وفوضوا أمر هذا
المصاب إلى الطبيب البارع يتولى
علاجه ويداوى جراحه فطلب من بقية
الأطباء ان يرافقوه في هذه المعالجة
ليتقىو بالذكريات على ما يصلح به هذا
الجسد الشريف. وبعد تبادل الأفكار
بينهم قر الرأى على أنهم يركبون له
دواء يوقف سرى الداء الآن حيث تحكم
وتمكن وبعد ذلك يتداولون فيما يزيد
المرض ويعيد الصحة فتعلق بهم أهله
على فاحملنى وإن تأذيت من صددي
فاجتمع إلى قومى لعلى أجد فيهم من
يقبل على جيفتى ويسعى فى نجاتى
فقام هذا الزائر يضرب الكف بالكف
اسفاً ويعض أنامله غيظاً واسرع إلى
الحي ونادى ايتها القبور الصامتة
انشقى وانفرجى وابعثى من فيك من
الآموات فقد انتط الطامة الكبرى
ولا يمكنون الأجانب من الوصول إليه

واربعة امماخ بصل وفى العيد كان
يقدم له اليختنى ليتمتعه باكل اللحم
بالبصل وبينما هو يسوق الساقية
وابوه جالس عنده من بهما أحد التجار
فقال لأبيه لو أرسلت ابنك إلى المدرسة
لتعلم وصار إنساناً فأخذته وسلمه إلى
المدرسة فلما اتم العلوم الابتدائية
ارسلته الحكومة إلى أوروبا لتعلم فن
عينته له فبعد أربع سنين ركب
الوابور وجاء عائداً إلى بلاده فمن فرح
أبيه حضر إلى اسكندرية ووقف
برصيف الجمرك ينتظره فلما خرج من
الفلوكة قرب أبوه ليحتضنه ويقبله
شأن الوالد المحب لولده فدفعه في

صدره وجرت بينهما هذه العبارة:

زعيط: سبحان الله عندكم
يامسلمين مسألة الحضن دى قبيحة
 جداً.

معيط: امال يابنى نسلم على بعض
ازاي.

زعيط: قول بون أريفي Bon arrivee
وطح ايدك فى ايدي مره واحدة
وخلان.

معيط: لهو يا ابني باقول منيش
ديفى.

زعيط: موش ديفى ياشيخ انتم
ابناء العرب زى البهائم.

معيط: الله يسترك يازعيط والله
جاخيرك يابينى فوت روح فوت
فلما توصل به الكفر قامت امه

خوفاً من افسادهم العلاج وسعدهم في
اتلافه أكثر مما صنعوا به فكثر صباح
أهل وعلت اصواتهم بالعلو ووضعوا
ايديهم على أكبادهم وتصبروا وايتدوا
يعملون بمشورة الأطباء ويبذلون
الجهد في وقايتها وصيانته من كل من
كان من جنس مصيببيه. قال الرواى
وبينما انا ابكى وانوح مع هؤلاء
المساكين وإذا بالمؤذن ينادي حى على
الفالح فقمت لاقضى المفرض واعود
لمباشرة الخدمة مع اخوانى إذ لم أر
قبل هذا اجتماع مجلس طبى على
محاسب بالافرنجي.

٢

عربى تفرنج

التنكية والتباكيت / العدد الأول / يونيو
١٨٨١

ولد لأحد الفلاحين ولد فسماه زعيط
وتركه يلعب في التراب وينام في
الوحول حتى صار يقدر على تسريع
الجاموسية فسرحه مع البهائم إلى
الغيط يسوق الساقية ويحول الماء
وكان يعطيه كل يوم أربع حندويات

والفت جارك وتعارفت مع مواطنك
وقابلت بها نزيلك. فهى انت ان كنت
لاتدرى من أنت. وهى وطنك ان لم
تعرف ما الوطن. أما كونها انت فقد
قدمت لك من عرفتهم بها وانت إذا
فقدتهم صرت وحيداً غريباً في الوجود
لاترى من يقول لك من أنت. أما كونها
وطنك فانه انتا يعمر ويسمى وطناً
ب الرجال يتعاونون على احيائه وإظهاره
في الوجه محل للسكنى وداراً للإقامة
وقد علمت انك بمفردك لا تهتمى لشئ
ولا تقوى على أى أمر كان ومن فقد
الموطن فقد الوطن.

اسمعك تقول إذا فقدت لغتي اعتضت
عنها بآخرى أجل انت اعتضت عنها
ولكن بما اضاع منك الوطنية
والمعتقدات الدينية فانك لا تخاطب بها
إلا أجنبياً من البلاد مغايراً في الجنسية
وانت تعلم ان المعانى الالفاظ تصوراً
لا يقوم به مقابلها فى غيرها فانك لو
سمعت قولي:

ومن غر الاخلاق ان تهدى الدما
لتحفظ اعراض تكلها المجد
واردت ان تلقي بلغة أخرى لفقد قوة
الحماسة ووقع الالفاظ وربما عبرت
عنها بما لا يزدلي معنى ولو سمعت قولي
أجل صفات المرء فضل ومنطق
وبعد ما كل الصفات غرور
لسررت عبارة يضيق صدر الساعي
بها ولا يصل لفهم المقصود وهبك

المعنى. ناشدتك الله هل وجدت في
اللغات الحديثة العهد ما استعملت عليه
لغتك القديمة. أم رأيت حسناً في اللغات
التي تنفع كل يوم بقلم المتتدلين لم
تره في لغتك الفطرية الخلقة
المجموعة في زمن الهجرية كما يزعم
الجاهلون. اترى اذا عبرت عن شئ بلفظ
في غير لغتك واردت تتصرف فيه
بعباره أخرى هل تجد له مراداً واحداً
كما تجد في لغتك للفظ جملة متراادات
أم انت الجاهل بقدر لغتك الفاصل من
علم قدرك في تاريخ العالم قدماً
وحديثاً. اظنك في احتياج لفهم سر
اللغة ومعرفة ما يترتب على ضياعها
ولاتشريب عليك في أمر لم يبحث فيه
إلا بعيد الغور في حساب العواقب شديد
الحرس علىبقاء وحدة الهيئة
الاجتماعية لبيك أيها الاخ الشقيق وان
لم تحمل في بطن واحد اللغة سر
الحياة والحد الفارق بين الإنسان
والبهيم. بها يترجم اللسان خواطر

القلب و يجعلو بنات الأفكار وبها يعشق
المرء وإن كان دميم المنظر ان رقت
استعطفت القلوب القاسية وإن غلظت
اخضرت النفوس العاتية وان فحشت
حركت الطياع، وإن لطفت رفعت
الأوضاع وان حستن الفت القلوب وان
سهلت أظهرت الغيوب. وهي التي بها
جذبت قلب امك واستعطفت جانب أبيك
وتعلكت فكر أخيك واستعملت صاحبك

توسعت في غير لفتك وتفننت فيها
أتناجي ربك في أوقات عبادتك بها أم
تقرأ بها كتابك العجز بحسن نسقها أم
تخاطب بها باعة الفجل عندما تشتريه
أم تستعطف بها قلب امك وقتما تخضب
عليك أم تعشر بها عامة قومك وهم أهل
البلاد. أراك استجهلتها وقلت ان الرجل
لعدم علمه بغير لغته ينكر بلاغة غيرها.
مهلاً أنها المدل بنفسه فان في قوله
(المعانى الالفاظ تصور لا يقوم به
مقابلها في غيرها) حكماً يقضى به كل
ذى لغة على عدم قيام غيرها بما تقوم
به فربما كانت حماسة هذا اللفظ في
لغتك تخناضاً في غيرها وبالعكس وهذا
ما يأخذ الذوق من غير بحث في
اللغات واراك تعدنى من الجاهلين
بضروريات الاختلاط من معرفة لغة
النازلين بوطنك رويداً فقد قدتك إلى
الحق ورميتنى بالضلالة. فانى لم احرم
عليك غير لغتك لضرورة تفضيها
ونازلة تدفعها ومشكل تحله وانما اردت
تذكريك بان لغتك كان منطوقاً بها من
غير تعلم محفوظة في غير كتاب
بمخالطة الدخيل فسد بعضها وخيف
عليها الضياع فدونت فى بطون الأوراق
وبقيت قوتها فى اللفظ والكتاب ثم كثر
فيها الدخيل حتى انتخب لها كتاب
ومنشئون ثم تعدد فيها الدخيل
فاستبدلت بلغة اصطلاحية لاقاعدة
تمشى عليها ولاكتاب يحفظها ولا ضابط

ووضعوا لهم ورقة يسمونها قائمة بالزاد وامرهم بالتناقص فى المقدار المعين لذاك العمل فإذا كان العمل يساوى ألف جنيه قال واحد على بسبعينه فيتحرك بغيره ويقول على بخمسماهه تم يتحرك بغيره الثاني ويقول على بثلاثمائة وهذا حتى ينتهي المزاد إلى مائتين فيرى صاحب العمل ان الألف لا يقوم بعمله فضلاً عن المائتين ولكن فرح بهذا التناقص فيطلب من العامل تأميناً وضامناً غارماً ثم يترك لا يصرف له شيئاً مقدماً فيبتدئ المسكين ببيع مصاغ زوجته وحلوها وامتعة بيته وإذا انتهى العمل وجه إليه صاحبه واحداً من المعلمين فيبتدئ بسب أخيه ولعنه ويقول له هذا العمل مغاير لما فى الشروط فان الحجر احرش والبلاط معصرانى والقصرمل كله تراب والهيسن مرمل والجير قليل وقلب البنيان فارغ والبياض قشرة واحدة والجبس بارد والسلم قائم والسلف واطى والجدار ناقص وسمك الحائط ناقص عشرة سانتى متراً وهذا كله يمنعنى من التصديق على نظافة عملك فإذا صافحه برابط المحبة (الجنيه) قال له لا بأس من تناز لك عن عشرة فى المائة من اصل المطلوب لك فيحضر المسكين لختم الكشف والتصديق على ما يقوله معلمه الاكبر وقد خرج من العمل

بالجمعيات ومصرف ثلث وقت الطفل فى تعلم اللغة والوطنية وتهذيب الأخلاق وحفظه من معلم أجنبى يغرس فى طبيعته الساذجة حب بلاده ويحسن لأفكاره الخالية طباع أهل جلدته وإذا تمت هذه المبادئ رأيت لبلادك نشأ جديدة وخلفاً بدرياً وعلمت بما تراه من جمع الكلمة وسر وحدة التعليم وانتظام الهيئة الاجتماعية. ان اضاعة اللغة تسليم للذات.

٤

صنائع الشرق وصنائع الغرب

التنكية والتباكيت - العدد الثاني
١٩٨١ يونيو

السؤال: بأى سبب ماتت صنائع الشرق وافتقر اهلها وبأى وسيلة تحيا وتعود ثروة اهلها؟

الجواب: ماتت الصنائع بتحاسد اهلها وتباغضهم اللذين اورثاهم الفقر وقد الامن والثقة بهم. وذلك أن أصحاب الاعمال إذا ارادوا فتح عمل كالبناء مثلًا احضروا طائفة المعمار

بخراب بيته وكثرة ديونه واقعه
ان نسعى في عقد جمعية لكل طائفة
تحت رئاسة عقلائها فإذا طرأ عليهم
عمل من الاعمال كان أمره مفوضاً
التباغض والتحاسد في الفقر وقد
الأمن والثقة.

فإن قلت لم تفتقر الأجانب وهي
لمجلس الرؤساء من الطائفة يساوم من
يشاء ويأخذ ما يشاء ثم يوزع فيه من
العمال بقدر ما ياحتله وعند ما يطرأ
غيره يوزع فيه من لم يكن في الأول
وهكذا وهذا العمل يلزم رئيس مال
يدبرونه به فعلى رؤساء الطائفة أن
يفرضوا فرضية على كل صانع بصفة
سهام على قدر قوته واقتداره
والمجموع يكون في صندوق تدور به
الاعمال وعندما توزع الأرباح يحضر
المجلس من كل صانع جزءاً يضيفه
لسيمه حتى يصبح ذا ثروة من حيث
لا يشعر وحيث ان الغالب من أهل
الصناعة لا يقرأون ولا يهتدون لأسرار
الجمعيات فعلى النبهاء من اخواننا ان
يتذلّلوا لهؤلاء الضعفاء بحثهم على
عمل صناديق الاقتراض وإدارة الاعمال
بالاتحاد والوفاق ولا بأس من تفهمهم
بعض ما يقرؤونه في الجرائد من تقدم
صنان أوروبا واجتها بهم في زيادة
الثروة ومقدار ما وصلوا إليه بحسن
التدبير والاتفاق لتنبع فيهم الغيرة
والحمية ويحرصوا على تقدم صناعتهم
فإن الإنسان مقلد طبعاً لاتطبيعاً وإذا
تمت هذه المبادئ وعقدت جمعيات
الطوائف وفتحت صناديق الاقتراض
الصناعة والزراعة. فإذا اجتهدنا في
مساعدتهم على افكارهم الحسنة لزمننا

يعلم كل وطني ان هيئة حكومتنا
الآن غير ما كانت عليه قبل غایة أمالها
تقدّم ابناء الوطن وتهذيبهم ونمو
ثروتهم تشهد بذلك اعمالها الجليلة
ومساعيها الخيرية فانها وكلت إلى
امراء يرون ان لا دولة إلا بالرجال ولا
رجال إلا بالمال ولا مال إلا بتقدم
الصناعة والزراعة. فإذا اجتهدنا في
اختصتهم الحكومة باشغالها واعمالها

لما تراه فيهم من الثقة والنشاط
وفقدت اللغة وضاع المذهب بالاهمال
والتقليد ونحن في بحار الغلة
غارقون.

٥

زجل:

أهل البنوك والأطيان^(٢)

التنكية والتبيك / العدد التاسع / ٧ يونيو
١٨٨١

أهل البنوك والأطيان
صاروا على الاعيان اعيان
وابن البلد ماشى عريان
معاه ولا حق الدخان^(٤)
شُرم بُرم حالى غلبان^(٥)

* *

ياما نصحتك يا «بنجر»
وقلت لك أوعا «بعجر»
فضلت تسرك وتتفجر
لما صبح بيتك خربان
شرم برم حالى غلبان

* *

الحق عندك ياخويه
يلٌ طلبت وشك بويه
ولبسست سروال ايأ ويه
ومشيست تقلد لى النسوان

وظهرت الصنائع في عالم الوجود بحالة
لا يتتصورها العقل الآن فان الفكر
الشرقي والعقل العربي والذهن
المصرى لاينبه بأكثر من الاشاره.

وإلا اذا لم تعقد هذه الجمعيات
وتفتح تلك الصناديق وتلم الحكومة
شعثهم وتعيد ثروتهم بمساعدتها لهم
فلانليست ان نرى اهل الصناعة (وهم
السود الأعظم) خدماً للمتمولين
(وليتمهم منا) يصرفونهم كيف شاءوا
ويستعملونهم فيما يريدون وفقد
رجالنا بلا حرب ولا وباء وتعدم الهيئة
الاجتماعية قوتها بتعذر التحصل من
فقير لا يأخذ من سيده إلا القوت أو غنى
اذا طلوب لجأ إلى الغير. ولا يظن عاقل
ان ضياع أهل الصناعة لا يضر بهيئةتنا
وماليتها فانهم قسم واهل الزراعة قسم
فمن هذا القبيل فقد الثروة ومن
القبيل الثاني يختل نظام الهيئة
الاجتماعية بكثرة التشيع سيمانا وانتنا
مغرون بحب الغريب والميل اليه
فتوى الرجل إذا خدم غريباً سمي باسمه
ومدح فعاله وذم اهل بلاده وعاداتهم كما
ترى ذلك في كثير من يخدمون
الاغراب. وإذا استمر حال الصناعة على
ما نراه من التأخير في جانب
الوطنيين خسروا رجالنا فقدنا قوتنا
باعدام الثروة وأصبحنا أسرى معاشرنا
أرقام صناعتنا وتحولت طباع الأمة

شم برم حالى غلبان

* *

ان كان بده تساير	كانت عزاييمك مشدوده
خليك نصييف ثائف داير	وسط الرجال المعدوده
وطف على الناس بالدائير	امسيت وأمك «مسعوده»
يعظموك كل الجدعان	تندب رجالك والأوطان
شم برم حالى غلبان	شم برم حالى غلبان

* *

اواعاتقوت دى الكار ياهباب	فت العدس وبصار البيت
وتعشى ماسك لك فى كتاب	بالجنبرى والكستيليت
يستهبلوك كل الاحباب	فين الدره وقطير الزيت
وبعد عزك دا تنهان	والجلوين اكل الغيطان
شم برم حالى غلبان	شم برم حالى غلبان

* *

احسن دا فن بتاع مساكين	فين الزعابيط واللبده
سهروا ليالى فيه وسندين	جا للعويل منا هبه
وحصلوا منو التمدين	مايفتكرات داً وشيل ده
لكن رماهم فى الحرمان	تحت الكرابيج فى الديوان
شم برم حالى غلبان	شم برم حالى غلبان

* *

ان جئت مادح بقماید	بعنا العمايم بالطربوش
يستحضرروا لك بجرايد	والعرى بالتوب المنقوش
وان كان لهم بعض عاويد	صبحت بلادنا للمغشوش
يقلعوك حتى الققطان	مورد وصانعهااظمان
شم برم حالى غلبان	شم برم حالى غلبان

* *

وان كنت شاعر او منشى	نفسك من البيت والأوضه
قالوا ياشيخ فضك وامشي	وخد نصيحة عال موضعه
دا احنا كلامنا فى المحشى	يصبح بها بيتك روضة
وإلا طبيخ البيدينجان	وتترنم بها خمران سكران
شم برم حالى غلبان	شم برم حالى غلبان

وإن كنت صانع متقن
قالوا أخينا دا الجن
وبعد ما كان يدندن
صبع يقول شغلى الوان
شرم برم حالي غلبان

* *

وان كنت صرفى أو نحوى
والعلم فى ذهنك محوى
قالوا اتنا ببوز ملوى
يقول لنا عمرو وزيدان
شرم برم حالي غلبان

* *

شوف دى الجهاله يا سيدنا
اللى جليناها بايدنا
حتى صبحنا يوم عيدنا
تسمع بلادنا تنشدنا
شرم برم حالي غلبان

وان كنت عالم متفقه
قالوا اتنا الموت حقه
دلوقت يمسك فى الحقه
ويدور يخبط فى الحيطان
شرم برم حالي غلبان

* *

البرامش

الجهل، وتدخل فيها أحمد سمير وإبراهيم الهمبواوى لتأييد النديم، الذى وعد باستكمال الكتابة فى الموضوع، ولكنه لم يفعل ذلك إلا بعد عشر سنوات وعلى صفحات مجلته «الأستاذ»

(٢) العنوان الأصلى الذى نشر به النص هو «حمل زجل عال.. والنون ينقد سلوك الآثرياء المصرىين من «أهل» البنوك والأطيان»، الذين يقلدون الأجانب فى نعم حياتهم، ويبذدون ثقودهم على المظاهر والملذات.. ويحتقرن الفكر والثقافة والأدب والعمل الجاد.. حتى أصبحوا وأصبحت بلادهم فى شر حال.

(٤) أى ليس معنى حتى شمن الدخان.
(٥) ادغام لكلمتى شر مبرم.

(١) كان مرض الزهرى- أو السفلس- يعرف بمرض الحب الأفرينجى، وال مقابلة فى هذا المقال بين التفوه الأجنبى وبين السفلس، وهو يشير إلى ماترتتب على تورط الخديو إسماعيل فى الاستدانة من البنك الأوروبية على نطاق واسع، من أثار مدمرة على استقلال مصر. وقد لجا النديم إلى الرمز لأن المقال نشر فى يونيو ١٨٨١، وقبل مظاهرة ٩سبتمبر التى اتاحت له الحديث بحرية أكثر.

(٢) أثار هذا المقال مناظرة، شارك فيها من كتاب ذلك العهد أمين شمائل الذى اعترض عليه، قائلاً أن اللغة آداة مادية للتبدل الأفكار بين البشر عموماً، وأن النديم يدعو عن غير قصد- إلى البقاء فى

الحياة الثقافية

الكسندر سولجنستين: أعمدة الدخان وأعمدة
الحقيقة: أحمد الخميسي / حوار مع الناقد
التونسي محمد بن حمودة حول السينما
التونسية الجديدة: د. مجدى عبد الحافظ/
حكمت وأنور وحب الوطن: نورا أمين / دفاتر
العامية لسمير عبد الباقي: أشرف أبو جليل/
التكفير وبعبع الكفر: صلاح الدين محسن.

رسالة موسكو

الكسندر سولجينتسين:

أعمدة الدخان وأعمدة الحقيقة

أحمد الخميسي

لماذا أثارت عودة الكاتب الروسي الكبير سولجينتسين كل هذه الضجة في روسيا؟ ولماذا اعتبرت الصحف الأدبية والسياسية وبرامج التلفزيون والإذاعات أن عودته هي أهم أحداث ذلك الأسبوع حينما اختتم سولجينتسين رحلته العودة الطويلة بالهبوط في العاصمة موسكو يوم 21 يوليه هذا العام؟ بعد أن فضل الكاتب الكبير أن يعود لوطنه- ليس عبر شوارع العاصمة النظيفة- ولكن عبر القرى الجائعة مجتازاً سiberيا والأورال بقطاره الذي توقف في كل محطة ليهبط منه الرواش الكبير ويتكلم مع الفلاحين ويرى روسيا في الأحياء والبساطة من أبناء شعبه.. ولماذا انقضت أقلام كثيرة ماجورة تنتقص من قيمة الكاتب، وتعتبر أنه قد عاد بعد أن فات أوان العودة، ولماذا ناصرته بشدة أقلام أخرى؟.. وباختصار: ما الذي يمثله سولجينتسين ليمسي مادة لصراع فكري وسياسي وأدبي وجماهيري واسع في روسيا؟.. قبل أن يصل قطار الأديب إلى محطة ياروسلافسكي للسكك الحديدية بموسكو، كان عمال النظافة يكتسون الشوارع المختلفة حول المحطة، بينما طوق رجال الشرطة المكان، وتناثرت عربات القوات الخاصة عند مداخل الطرق واستعد يورى لوشكوف عمدة

موسكو واقتلا ممسكا بباقية من الزهور محكما رباط عنقه حول رقبته، بينما اكتظ الصحفيون الأجانب والروس بعدساتهم، بينما سدت جماهير من كل فئات المجتمع ميدان المحطة.

لقد تجاوز سولجيتنسین حجم الظاهرة الأدبية إلى حجم التاريخ الفكري، بعد أن تمكن من أن يكون همزة الوصل بين تاريخ الأدب الروسي العريق وتاريخ الأدب السوفييتي، وهمزة الوصل بين تاريخ كل الأدباء السوفيت المعارضين الذين أخرست الدولة أقلامهم والحاضر الآني، وكانت معجزته الحقيقة أنه لم يقادر بلاده معارضها لمحظى النظام السوفييتي- لكنه ماد إليها معارضها لمحظى الرأسمالية الروسية الفظة، وبينما أراد النظام الحالي لعودة الكاتب أن تكون دليلا على «الحرية والليبرالية الرأسمالية»، فإنه حولها إلى دليل ضد «تلك الحرية».. لقد رحل الكاتب «معارضا»، وعاد «معارضا» ولم ينجي النظام السوفييتي في كسر قلمه، ولم يوفق النظام الرأسمالي أيضًا في شراء ذلك القلم..

وكان سولجيتنسین القوّاقي الأصل استثناء نادرًا استعصى على الذبول عندما طردت الدولة للخارج، نفس الدولة التي أجبرت من قبل إيفان بوتين على الرحيل واجترار ذكريات

الوطن البعيد في الخارج، فلم تنتفع موهبته ولم يمتلى قلبها باليأس. وكان استثناء نادرًا حينما استعصى على الموت في المعطلات رغم أنه قضى ثمانية أعوام في معتقل «أرخبيل جوجاج» وكان مصابا بالسرطان. فانتصر على السجن والمرض. وكان استثناء نادرًا حينما استعصى على كل أدوات الدولة الضخمة التي شنت الحرب على إيليا إيرنستورج بعد أن طبع روايته «الزقاق المعمد» عام ١٩٢٧، الآلة التي داست بأقلام نقادها الرسميين أحد أعمق كتاب القصمة الروسية «أندرية بلاتونوف» عندما كتب روايته «رياح الوسخ» فلم تر النور إلا بعد موته القصاص بخمسة عشر عاماً. الآلة التي أخرست ميخائيل زوشنكو وكسرت قلمه الساخر الرنان وجعلته يفضل الصمت مع الحياة، الآلة التي صادرت في مخازنها شكاوى مكسيم جوركى، واحتجاجه، واستخلصت منه فقط «جوركى صديق الثورة».

لقد نجح سولجيتنسین في أن يكون الومضة العبرية الأخيرة من الأدب الروسي التي استمرت كائناً لتصون الكلمة المعاشرة بيمومتها وانتصارها في التاريخ. من ناحية أخرى، فقد رسخ الأدب الروسي لدى شعبه أن الأديب نبي من الأنبياء، ومعلم، أكثر منه محترف لصنعة الأدب الماهرة، فقد عاش معظم

لقد ولد الكاتب الكبير في ١١ ديسمبر ١٩١٨، في اللحظة التي كانت روسيا فيها تعاني مخاض الانتقال من عالم إلى عالم آخر تماماً، ومن نظام إلى نظام آخر تماماً ودرس الكاتب في معهد عال بمدينة روستوف، واشتغل مدرساً للرياضيات، وكان يتعلم بالراسلة في نفس الوقت في معهد التاريخ والأدب بموسكو. وعندما أتم سولجيتسين عامه الثالث والعشرين شارك في القتال ضد الغزو الألماني عام ١٩٤١، وأصبح قائداً لبطارية مدفعية برية تقىب، ويمكن القول أن النوعي الفكرى والأدبى والسياسى للكاتب قد تشكل فى أشد فترات الحكم الاستalinى سوداوية، ولم يكن عمر الكاتب يتجاوز الثامنة عشر. حينما كان ستالين قد بدأ عام ٣٦ اعتذ حملة تنكيل وملحقة لكل من جرئ على التفكير أو المعارضه من الأباء والسياسيين، وكانت البجدانوفية المتحجرة تلتهم في الأدب الأحياء من الكتاب كل يوم وتزج بهم إلى السجون أو تجبرهم على المصمت، أو تقوم بتجويعهم. وغربت شمس التعددية الأدبية التي استمرت في العشرينيات، وأغلقت المدارس الأدبية أبوابها مثل الرمزية والانطباعية

الأدياء الروس الكبار حيواتهم في المعطلات والمنافي: الشاعر الكبير الكستندر بوشكين مؤسس الأدب الروسي الذي عاقبه بلاط القيصر على «أفكاره الحرة» وتعاطفه مع الديسمبريين فنفاه^(١)، ولم ينج من المنافي والاضطهاد ليرميتوف، ودستيوفسكي، بينما قضى تولستوى تحبه في محطة قطار لخلافه مع زوجته بسبب إصراره على أن يهب الأرض التي يملكها للفلاحين. والروس - السكارى منهم وال مجرمون والعاهرات يحفظون قصائد بوشكين، ويرددون أبيات من شعر بلوك، ويقدسون أدباءهم، ويتطلغون إلى كل ما يقولونه تطلعهم إلى الحق.

وقد تكون عودة سولجيتسين ظاهرة أدبية واجتماعية وسياسية معاً، وقد تكون مدعامة لمناقشة تاريخ الأدب السوفيتى من جديد على حقيقته: فما الذي يعنيه التعبير الذى شاع عقودا طويلاً: «كاتب معاد للدولة»؟ وما الذى يملك الكاتب -أى كاتب- في مواجهة جيش الدولة ووسائل إعلامها بل وصواريخها؟.. وكيف يمكن لكاتب أن يكون: «معادياً للدولة»؟ إن نظرة على تاريخ الحرب التي أعلنتها الدولة على الأدباء الحقيقيين في روسيا ستتبين: أى عداء هذا الذى عوقب عليه سولجيتسين.

والتعبيرية مفسحة المجال لأن العرب ظاهرة أدبية في العالم؛ أي لظاهرة أن تعتنق الدولة الرسمية مذهبًا أديبياً يخصها، وهو مالم تقم به دولة من قبل. وقد ولد «المذهب الأدبي الرسمي» للدولة «الواقعية الاشتراكية» في أول مؤتمر للأدباء السوفيت عام ١٩٣٤، ومنذ ذلك الحين أصبح للكتابة الأدبية في الاتحاد السوفيتي فنوناً خاصة بها للتهرب من الرقابة، وأصبح على الأديب أن يكون لنوعاً قبل أن يكون فناناً بحيث يتمكن من عرض أفكاره بين السطور، وكان جنكيرز أبترناتوف أبرز حالات اللقب الأدبي، فشق طريقه أولاً بقصاصب في «جميلة» ثم انتهى معارضها صريحاً، وكان أبرز نماذج اللقب الذي سقطه الدولة للأدب هو ناجيبيين الكبيرة أنا أخماتوفا فقد اعتقلت في ٢٨ أغسطس ١٩٢١ ثم أعدم رمياً بالرصاص في مكان مجهول، دون أن تستطيع زوجته العثور حتى على الأمتاز القليلة لمثواه الأخير. وكانت هناك أساليب أخرى، ففي ١٢٥ أبريل ١٩٢٥ وجه الكاتب الروسي الكبير فيودور سولوجيوب (١٨٦٢-١٩٢٧) رسالة إلى ليف تروتسكي (الذي اغتاله ستالين بعد ذلك في الخارج) يقول له فيها: «منذ الأول من

نيكولاي جوميلوف زوج الشاعرة الكبيرة أنا أخماتوفا فقد اعتقلت في ٢٨ أغسطس ١٩٢١ ثم أعدم رمياً بالرصاص في مكان مجهول، دون أن تستطيع زوجته العثور حتى على الأمتاز القليلة لمثواه الأخير. وكانت هناك أساليب أخرى، ففي ١٢٥ أبريل ١٩٢٥ وجه الكاتب الروسي الكبير فيودور سولوجيوب (١٨٦٢-١٩٢٧) رسالة إلى ليف تروتسكي (الذي اغتاله ستالين بعد ذلك في الخارج) يقول له فيها: «منذ الأول من

الى سقوطه لكتومة زمنا طويلاً، وبعدها لك ما هو روسي، وعداته حتى لفكرة أن هناك قومية روسية - مع ترحيبه وباللغرابة بفكرة أن هناك «قومية يهودية»!. وقد رفض سولوجيوب أن يكون الأدب لؤماً يجهد بغير ما يضمره، وبدأت معارضته للنظام عام ١٩٤٥، فأدانته السلطات باعتباره «عدوا للشعب» وحكمت عليه

أبريل هذا العام حرمت من حصتي الوحيدة من الطعام كاذيب، ولم أجد أحصل حتى على ذلك الحد الأدنى من الخبر الذي توفره الدولة لقتل المواطنين. كما أن زوجتي أناستاسيا نيكولايفنا فقدت هي الأخرى حصتها الضئيلة كعاملة في مدرسة داخلية، وصرنا معاً مضطرين لبيع ملابسنا والقاء بعض المحاضرات هنا وهناك فقط لشراء الخبر مقابل ألفى روبل للرطل الواحد. وقد طلبنا مراراً السماح لنا بالسفر للخارج للعمل والعلاج أنا وزوجتي والبروفيسور لو زينسكي المصاب بالسل والذي يتحرك على عكازين، ولكننا كنا نواجه دائماً برفض طلبنا. فما هي الدوافع التي قد تكون لدى الدولة السوفيتية لكي لا تسمح لنا بالسفر ولو لفترة قصيرة لنواصل هناك نشاطنا الثقافي ونتداوى؟ ولماذا سلمتنا الحكومة جوازات سفر في أكتوبر ثم عادت فسحبتها منا في ٢٢٥ الشهير دون أى تفسير.. إننا بعيدون كل البعد عن تحويل مصانينا «لنوابي البلاشفة الشريرة»، ولكن بيتنا يتعرض بصورة مستمرة للسرقة والنهب دون أسباب واضحة».

بعد ذلك مع حلول خريف نفس العام كف سولوجوب عن توجيه ابتهالاته إلى الدولة، وتخلّي نهائياً عن فكرة السفر بعد أن ألت زوجته بنفسها في تهر

أين بيمونوفا الصحفية الثورية: «إن بيمونوفا عاملة ممتازة، ساهمت في تربية الوعي الذاتي لدى العمال، وأنا شخصياً أعرف ابنها وهو شخص شريف ومخلص، ويجب التحلّي بالحذر عند

القيام بالامتحانات». ورد عليه العالى أناتول فرانس يصف له فيها محاكمات الاشتراكيين الثوريين زينوفيف يقول:

«إننى أسمع عن بيمينوف لأول مرة بقوله: إنها تحضير لقتل الذين خدموا منك، وأؤكد لك إننى لم أمر باعتقاله، قضية تحرير الشعب الروسي باخلاص وتفان، ويطلب منه التدخل لدى وفادت تقول أنه إنسان شريف فإننى سأطلب إطلاق سراحه على الفور أو تقديم مبررات ملموسة لاعتقاله. إن ونشرت الرسالة فى جريدة اشتراكية كانت تصدر فى برلين. وأخيرا كتب جوركى عام ١٩٢٧ رسالة إلى يولييه عام ١٩٢١ فى رسالة إلى لوناتشيرسكي وزير التعليم كتب جوركى يقترح انشاء لجنة خاصة لتحسين مستوى معيشة العلماء وأهاناف فى نهايتها: «من الغريب أنهم لم يسمحوا لاكتسندر بلوك المحترض بالسفر إلى فنلندا للعلاج، بينما يশمرون بذلك لأعداء السلطة السوفيتية». وفي رسالة أخرى يبعث بها جوركى إلى ريكوف عضو المكتب السياسي للحزب عام ١٩٢٢ كتب يقول: «إذا انتهت محاكمات الاشتراكيين الثوريين بالقتل، فإن ذلك سيكون قتلا بشعا بنية مسيقة، وأرجوكم ابلاغ رأى هذا لتروتسكى وللآخرين، وأأمل أن رأى هذا لن يثير دهشتم لأنكم على علم بأننى أشرت ألف مبررة للسلطة السوفيتية ببطلان واجرام عملية إبادة المثقفين فى بلادنا التى تعانى من الأمية وضالة الثقافة..» وفي ٣ يوليو ١٩٢٢ وجه جوركى رسالة إلى الروائى

وعودته إلى روسيا؟.. كلا. فقد حاكمت أوساط كثيرة سولجينستين على أساس أنه «معد للدولة»، وكان لابد من القاء ولو نظرة سريعة على طبيعة الواقع الذي رفضه سولجينستين، الواقع الذي تبلور فيه وعي سولجينستين السياسي والفكري والأدبي، الواقع الذي دفعه للعكوف بعد سفره إلى أمريكا على عمله الهام

«الجلة الحمراء» التي تقع في خمسة آلات صحفة وتتناول تاريخ الثورة الروسية وانهيار الامبراطورية في الحرب العالمية الأولى من ١٩١٤ إلى ١٩١٧ في شكل مجموعة من الروايات المعتمدة على دراسات تاريخية لأحداث تلك السنوات. وكانت روئي سولجينستين امتداداً لرؤى كبار الكتاب الروس الحقيقيين الذين «لم يفهموا الثورة» بقدر مالهم تستطيع الشورة أن تفهمهم هي الأخرى.

وقد ولد سولجينستين وتشكل في دائرة الرعب تلك، الدائرة التي لم يجد لها وصفاً سوى «الجلة الحمراء»، وعندما أعلن عن خلافه مع السلطة السوفيتية، أمرت باعتقاله ثمانية أعوام حتى أفرج عنه عام ١٩٥٣ مع بداية مرحلة ذوبان الثلوج التي حلّت برسول خروتشوف للحكم. وحينذاك نشر سولجينستين روايته المعروفة «يوم من حياة إيفان دينيسوفيش» عام ١٩٦١ حيث أدان

لقد نشرت رسائل جوركى هذه في مجلة «أخبار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتى» في يناير ١٩٨٩، وكانت قبل ذلك مطوبة في المخازن مثلها مثل وصيتها الأخيرة التي لا يعرف أحد أين اختفت إلى الآن. وإن كان من المؤكد أن ستالين شخصياً قد تسلّمها بيده.

لقد ترسخت تلك الأوضاع التي أشار إليها جوركى في رسالته فيما بعد، وأصبحت مصادرة الأدب والتذكيل والاعتقالات أهون وسائل مكافحة كل أديب حقيقي، بينما نشأت فئة كاملة من الكتاب البيوروغرطيين أنصاراً للموهوبين، بينما احترف الموهوبون منهم قن «اللوم الأدبي». وعام ١٩٣٥ أرسل القصاص العبقري أندريه بلاتونوف إلى جوركى بمخطوطة لمسرحية جديدة له تناول فيها عمليات التحول والبناء الاشتراكي، وقرأها جوركى بعناء وكتب لبلاتونوف: «إنها مسرحية ممتازة من الناحية الأدبية وهي أيضاً من ناحية الشكل مسرحية ممتعة وجديرة بكل التقدير.. فاتنى أنأشير إلى أن لفتها جيدة للغاية».. ومع ذلك لم تشفع توصيات جوركى وظلت المسرحية مع أعمال أخرى كثيرة للكاتب في مخازن الدولة ممنوعة من النشر.

بعد عودته لوطنه مسألة من سولجيتسين قبل عودته لوطنه مسألة من سولجيتسين أخرىان في السنتينيات، ولكن موجة الدف القصيرة كانت قد أوشكت على الانتهاء، فقام اتحاد الأدباء بطرد سولجيتسين من عضوية الاتحاد عام ١٩٦٩. وكان الكاتب قد تمكن في تلك الفترة من تهريب روايته الكبيرة «أرجيل جواج» إلى الخارج وهي ثمرة سنوات العذاب التي قضتها الرواية في معسكرات الاعتقال وبعد أن نشرت الرواية في باريس منع الكاتب جائزة نوبل للأدب عام ١٩٧٠. ولكنه لم يتسلم الجائزة لأن السلطات السوفيتية لم تسمح له بذلك ولم تسمح له بالسفر أصلاً، بل وقررت في فبراير ١٩٧٤ أن تطرد الكاتب مسقطة عنه الجنسية باعتباره «خائنًا لوطنه»، وشحنت السلطات الروائية على طائرة وألقت به كما بادا لها للنسفان والذبول بعيدًا عن وطنه. وقد نشرت صحيفة «ليتراتورنايا جازيتا» الروسية في أواخر أغسطس ١٩٨٤ مجموعة من الوثائق السرية التي توضح موقف الدولة من منع الكاتب جائزة نوبل في حينه، وأولى تلك الوثائق التي لاتحتاج لتعليق المذكرة التالية:

«مذكرة قسم الشئون الدولية باللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في ١٨ أكتوبر ١٩٧١. سرى للغاية إلى ١٧ نوفمبر ١٩٧٠ - سرى للغاية. بشأن الحديث مع الرفيق يسبرسن.

الرسالة التي وجهتها لجنة نوبل للجوائز إلى الكسندر سولجيتسين، علما بأنه قد تم الحصول على تلك الصورة بواسطتين خاصة.

ومرفق أيضا نص الخبر المخصص للنشر في الصحف عن تقليد الكاتب ميدالية نوبل روسيا إلا إذا أسقطت عنه تهمة الخيانة العظمى، ومع ذلك فقد تمهلت السلطة، فلم تعلن تبرئته من تلك التهمة إلا في سبتمبر بعد وشهادتها. يوري أندرهيف رئيس لجنة أمن الدولة».

وعندما طردت السلطة الكاتب إلى الخارج لم يكن أمامه سوى القبول باستضافة الكاتب الألماني هنريك بول له لفترة شد بعدها رحاله إلى سويسرا ثم انتقل للإقامة في أمريكا عام ١٩٧٦ حيث اشتري لنفسه ضيعة صغيرة في ولاية فيرمونت من مستحقاته عن كتابه، وهناك وسط الغابات انكب على صياغة أعماله الأدبية وفي مقدمتها «الجلة الحمراء».

سولجيتنتسين يقول: «لقد أعلنت ساعة الشيوعية دقتها الأخيرة، ولكن صرح الشيوعية الأسمى لم يسقط بعد، وأخشى ما أخشاه أن ننسحق تحت حطام ذلك الصرح بدلاً من أن تتحرر منه» وصور سولجيتنتسين واقع روسيا قاتلا: «لقد ضاعت علينا سبعون عاماً وخسناً ثلث تعداد شعبنا في الحرب العالمية الثانية، وبدتنا رحائنا السابقة، ودمتنا طبقة الفلاحين وقرابهم، وأغرقنا الحقول في البحيرات الصناعية وحولناها إلى مستنقعات، وسمينا الأنهار والبحيرات والأسماك، وشوهدنا ضواحي المدن بالمصانع اليدائية، وافتربنا من ثرواتنا الطبيعية ويعناها في الخارج دون شفقة أو رحمة، وأرهقنا ناسنا بالعمل الشاق وفصلناهن عن أولادهن، وأغرقنا الأطفال في الأمراض والتلوّث والتعليم المزيف، أما الصحة فبلغت

ومع الإعلان عن إعادة البناء، والبيرسترويكا ردت السلطات الاعتبار إلى أولئك الذين تصدوا للنظام البيروقراطي السابق، وفي أغسطس ١٩٩٠ وقع جورياتشوف مرسوماً يعيد به الجنسية إلى ٤٣ كاتباً ويعفيهم بمقتضى نفس المرسوم حق العودة لروسيا، وفي نفس العام منحت روسيا البيضاء سولجيتنتسين جائزة الأدب، فاتصل الأديب الكبير من مكتبه بنيويورك بوكالة تاس وطلب منها أن تنقل للجنة الجوائز أنه مع تقديره لمنحه الجائزة إلا أنه لا يستطيع أن يقبل جائزة عن كتاب لا يستطيع المواطنون في بلد، أن يحصلوا على نسخة منه»، وفي نفس العام أعيد الأكاديمي ساخاروف أحد أقطاب المعارضة السياسية من منفاه في مدينة جوركى، وأعيدت الجنسية إلى

عندها أقصى درجات التدهور، وليس في روسيا الديمقراطية الحديثة مكفيها بالدعوة أدوية، كما أن شعبنا قد نسي منذ زمن الفداء ليبرالية الوحدات الصغيرة في القرى والأخياء، وبعرض لفكرة الاصلاح التدريجي رافضا منهج الخدمات الاقتصادية والسياسية. أما عن الأيديولوجية التي تحتاجها روسيا فإنها في نظره «الوطنية.. ولكن لا بد في البداية أن يحس الطالمون بالندم لكي تتم المصالحة داخل المجتمع، ولكن أحدا لا يرغب بعد في الشعور بالندم». وسرى في كل ذلك ملامح من رؤى ومقتنادات كبار الكتاب الروس القائمة على خليط من الأفكار الشعبية والقومية والوطنية، ومشاعر الندم والشفقة والتعاطف مع الآخرين.

ومنذ أن بدأ سولجيتسين رحلته عودته الطويلة إلى روسيا في ٢٧ من مايو الماضي، حتى وصلها في ٢١ بوليو و هو يثبت أنه كاتب أصيل، قطع من أجل شعبه رحلة منهكة بالقطار وقد تجاوز السبعين، منعشًا في الذكرة قيم العلاقات التاريخية فقط بين الشعوب السلافية الشلانية. ومع استعراض سولجيتسين لتصوراته الأخرى في مجال الإصلاح الاقتصادي والديمقراطية فإنه - لأنه كاتب الشاشة المشابهة التي قام بها على عربة تجرها الخيول قادته في أشق الظروف من بطرسبورج وكانت العاصمة إلى موسكو، ورحلة أنطون تشيشخوف وهو مصاب بمرض السل إلى جزيرة ساخالين ليصف كيف يعيش المسجونون والمنفيون فيها، واندفاع الشعبين للالتحام بالشعب في

أن نظرة دقيقة إلى برنامج الكاتب السياسي ستكتشف عن أنه في حقيقة الأمر برنامج التخلّي عن الأطماء الروسية في جمهوريات آسيا الوسطى وجمهوريات البلطيق، وبينما دولة ثلاثة اتحادية تعتمد على ماتراكم من أسس للعلاقات التاريخية فقط بين الشعوب السلافية الشلانية. ومع استعراض سولجيتسين لتصوراته الأخرى في مجال الإصلاح الاقتصادي والديمقراطية فإنه - لأنه كاتب التحولات التي يشير إليها: «دون قسر أو ملاحم». ويعلن سولجيتسين عدم إيمانه بالأحزاب التي لا يفرض قيامها إلا لتمزيق الشعب الواحد، وعدم إيمانه بالمؤسسات

القرى والأرياف. وكان الكاتب الذى اختلف مرة بحديث للتليفزيون تحقر فيه من قيمة عودة مع النظام السوفيتى، ثم مع جورياتشوف، الكاتب لروسيا. وهكذا وجد الروائى الكبير يواصل اختلافه مع النظام الحالى خلال رحلة نفسه فى خلاف مستحكم مع كافة القرى، لأن عودته بين الناس، فسألعن: «إتنا تجده له « موقفه الخاص ورؤيته ». وعندهما وصل الكاتب إلى موسكو فإبانه فى أول حديث له أنفسنا الآن كما سبق أن ثبات تحت لبرنامج « حصاد الأسبوع » التليفزيونى قال بصد احتمال لقائه بالرئيس يلتسين: « إن عمليات التخصيص وصكوك التملك التي كانت كارثة على الشعب ». واستعدت الصحف لاستقبال سولجيتنسین بـ« موقفى من الرئيس الروسي معقد، وأفضل الآن أن أنتظر حتى ألتلى به ثم أقول بعد ذلك رأى بالكامل ». ومع أن الكاتب قد أعلن مراراً أنه لا يعتزم الانضمام لأى حزب سياسى، إلا أن ذلك لا يعني مقاطعة العرفة الاجتماعية بمعناها الواسع، بل إن وجبه يحتم عليهـ على حد قولهـ أن يقول رأيه فى كل ما يجرى ويمس مصلحة بلدهـ.

إن عودة سولجيتنسین ظاهرة سيساسية، تصور بدقة قوة الكلمة الأدبية، ولاشك أن الروائى الكبير جديهـ بالتقدير، ليس لأنهـ يوافقنا العداءـ بعد أن قال وهوـ فى طريقهـ لروسيا: « إن الاصلاحيون لاستقبالهـ بدرجة كبيرة من مشاعر الديمقراطيين لم يجدوا وسيلةـ لعلاج روسياـ من الشيوعيةـ سوىـ نهيبـ بهاـ وتدمرـهاـ بالكاملـ ». أما بداـ سولجيتنسـنـ صـنـواـ للـحقـيقـةـ الشـجـاعـةـ عـنـدـماـ وـلـفـ دونـ خـوـكـ فـىـ الصـهـابـيـةـ فقدـ حـاـلـواـ تـأـلـيـبـ الرـأـيـ العـامـ عـلـىـ الرـوـائـىـ، وكـانـتـ مـقـالـةـ لـتـفـنـسـرـزـوفـ فـىـ «ـ الاـخـبـارـ الـرـوـسـيـةـ »ـ منـ أـعـنـفـ المـقـالـاتـ فـىـ ذـلـكـ المـجـالـ، حيثـ اتهمـ الصـحفـيـ سـولـجيـتنـسـينـ بالـعـدـاءـ لـلـسـامـيـةـ، بينماـ أـدـلـتـ زـوـجـةـ الأـكـادـيـمـيـ سـاخـروـفــ وهـىـ منـ أـعـلـامـ الـحرـكـةـ الصـهـيـونـيـةــ



وواصل سولجيتنسین اقترانه الذى كان أعنف من رفضوا مظالم بالحقيقة الشجاعة عندما تصدى الرأسمالية، محاولاً أن يشق طريقه لجمهورياتشوف، ثم اختلف مع الغاصن صوب العقيقة، معبداً لللذاكرة الاصلاحات التى تجرى الآن، وفي كل أسماء الكتاب المظام مثل ذلك كان سولجيتنسین يحاول أن

يتطابق فقط مع سولجيتنسین لا أكثر: الروائى الذى كان أعنف من رفضوا سلبيات التجربة الاشتراكية والروائى

(١) «الدسمبريين»: ثوار روسيا فى بداية القرن قبل انقلاب الثورة البلشفية، كانوا يعتقدون سلاح الاغتيال الفردى لتحرير روسيا من استبداد القبصية.

الناقد التونسي محمد بن حمودة:

السينما الجديدة

تفضح عوره الوعى

أجراء في باريس:

د. مجدى عبد الحافظ

الكاتب والناقد الأدبي والسينمائي المسئولية، ذلك القلق الذي يهابه الكثيرون، بعدما اعتادوا على الثنائيات المريحة والوعي المباشر.

التقت به «أدب ونقد» في باريس وأجرت معه هذا الحوار:

سينما الدولة

في البداية نسأل عن الخطوات الأولى التي بدأتها السينما التونسية.

فقال:

- السينما في تونس بدأت كسينما دولة، من خلال الوكالة القومية للإنتاج السينمائي، التي تحكر سوق السينما - التوزيع، وينص قانونها الأساسي على ضرورة مساهمتها بنسبة لا تقل عن ١٠٪ من رأس مال أي فيلم تونسي يتم

الكاتب والناقد الأدبي والسينمائي «د. محمد بن حمودة»، أحد المنظرين للسينما الجديدة واتجاهاتها في تونس، له إسهاماته النقدية الأدبية، التي تتوازى وتتقاطع مع إسهاماته السينمائية، في التبشير بحدثة من نوع مختلف، لاتلقى بهموم الواقع في أحضان «الآخر» الغربي بقدر ما تتفاعل مع هذه المهموم حتى تتجلى «الذات» الخاصة. وهو يدرس الأدب بجامعة تونس، ويرى أن الصدمة الفكرية التي فجرتها السينما الجديدة في تونس، لم تلق صداقاً - كما يتبقى - حتى الآن بين الجماهير، مؤكداً أنها عادة الأفكار المغایرة التي تقلق الجميع وتحملهم

إنتاجه، وواكب هذا توفير الدولة لمنع منظوراً آخر، فيتناول الحياة الاجتماعية التونسية. والميزة التي ظلت تشملها جميعاً أنها ذات مضمون سياسى عمل، ولكن مع وبالطبع لم يزد معدل الإنتاج السينمائى في تلك الفترة الأولى، على فيلمين على الأكثر سنوياً. ومن أشهر الأفلام التي ابنتجت آنذاك، فيلم «الغجر» ويقلب عليه الطابع الواقعي، حيث جاءت أحداثه عن الحركة الوطنية التونسية في مقاومة الاستعمار، وتتميز هذا الفيلم باشتراك مطروب مشهور في تلك الفترة في بطولة، وهو المطروب «أحمد حمزة». صاحب أغنية جارى ياحمويدة- إلى جانب راقصتين للفن الشعبي هما «زينة» و«عزيزة».

الخارج الظابق
العرف الاجتماعي، وفي المصحة.. وجميعها زوايا نظر لرؤية واحدة للعالم وللمجتمع، وهي رؤية الأب الذي يمتلك كل من حوله إلى حد الإجاف. فيبطل الفيلم شاب يجد مصاعب نفسية في التحول إلى رب عائلة، أى لا يستطيع ولا يستطيع محاكاة الأب، وهو الذي خبر أثانية وجبروت هذا الأب، من خلال افتراض جنسى تعرض له من صاحب العمل الذى كان يعمل عنده وهو طفل، والجديد في هذه الرؤية، وهو ما واصلته الموجة الجديدة، هو تخطى واحدة الصوت الذى تميز بها السينما القديمة، عندما حاولت أن تكون

خارج الظابق

وماذا عن الموجة الجديدة في السينما التونسية؟
الحقيقة أن فيلم «دريج السد» للمخرج النورى بوزيد، يمثل نقطة فاصلة بين مرحلتين في السينما التونسية، رغم أنه ليس أول محاولة لترشيد هذه السينما، خاصة أنه لم يعتمد كلياً على إمكانيات الدولة، مما أتاح له قدرأً من استقلال هواجسه ورهاناته. وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى فيلم «السفراء» للمخرج الكتارى، وفيلم «شمس الضياع» وغيرهما من الأفلام التي بدأت تطرح

بحيث لا يستطيع أن يدرك من تجربة الفيلم الواحد، بحيث أن الفيلم أصبح يشبه السيمفونية أكثر مما يشبه الكتاب، فأساس السينما الجديدة هو **السينمانية الجديدة** على خيار أخلاقي، قوامه مواجهة تجربة الفيরية، خارج إطار التطابق وإلقاء الاختلاف، والتجددية، وذلك بإيجاد الانفصال ضمن تعريف الذات نفسها، ومن مقدورات هذا الاختيار رد الاعتبار للسلب، إذ يعني المخرج بأن يضيق حياة، وأن يقتصر أقصى ما يمكن من المعنى، الذي يحفل بالشخصية السلبية في الفيلم، بحيث لا تتصور كما تعودنا على ذلك في السينما العربية - بان تكون مجرد عورة للبطل.

ومن النتائج الأخرى انزياح الفاعل السينمائي نفسه في هذه الأفلام الجديدة، عن كل النماذج البشرية التي تتعامل معها السينما العربية عموماً، إذ فك الارتباط مع صورة الاب من ناحية مثال الشخصية المتوجانسة، وهو ما يجعلها بؤرة للمعنى، ومحلا للإيجابية، مما يجعله مكتملأً بذاته، غير محتاج لتعليم الآخرين والاستفادة بخبراتهم، كما فك الارتباط أيضاً مع الإنسان العامي، من حيث أنه إنسان مباشر يرفض أن ينخرط في تجربة إعادة صهر لوعة قيمة، وأفق وعيه

سلطة الأدب

لنا أن نسأل عن الأبعاد الجمالية التي احتوت عليها هذه السينما في ظل هذه المقارنة النظرية والتطبيقية بين الجديد والقديم في السينما

التونسية؟

الفibri، هذا الفibri الذى مثله صحفى يحمل كاميرا، ويريد أن يصور كل شئ، استتباعاً لهذه الاختيارات النظرية السابقة، وعلى اعتبار أن الشكل فاختيار المخرج للكاميرا كموضوع أيضاً - مضمون، أؤكد على أن تعدد إشارى لماهية الغرب، اعتمد على واقعة أن العين هي العضو الأكثر امتلاكية، الروايد التى يستند إليها المخرج (محلية وعالمية، سياسية واجتماعية، وأن الغرب يريد أن يأكلنا أكلا، رمزية وذرائعة...) يجعله يعدد من أساليب تعامله مع موضوعه، وأول ما يمكن ملاحظته، هو العيل إلى اعتماد سينما محضر، وذلك بقصد تحرير العمل السينمائى من سلطة الأشكال الأدبية وسائر الأجناس غير السينمائية، وهو ما يترتب عليه، أولاً: الإصرار على جانب الفرجة في السينما، فتجد للكاميرا دوراً مركزياً في تحرير الرسالة، ومن مظاهر هذا الاختيار الاقتتصاد في استعمال الكلمة، والإكثار من توظيف الصمت، على اعتبار أنه في السينما، كما في الرسم، صفت المقول يعطى القرصنة للمعنى بان ينكشف، وثانياً: تحرى أن يكون الحد الأدنى الذى لا يمكن الاستفادة عنه في استعمال الكلمة، خالياً من كل توجة قيادي، أى أن الكلمة لا تأخذ على عاتقها المتفرج، لأنها لا تستوفى معنى المشهد، وهذه التقنية هي نفسها ماميزة فيلم «بيزنس» لنورى بوزيid، الذى عالج خلاله مشكلة ملقة الآنا الثقافى بالآخر.



فإن المخرجة لم تذهب بعيداً في حفر المشاهد بشكل يجعلها تستغل بإشاراتها، بعضها عن بعض، إلى حد استقطاب الانتباه بشكل لا يذيبها ضمن الإشكالية العامة وهي القضية النسائية في تونس.

ومن هذا المنطلق أرى أن طرح السينما بوصفها ممارسة جمالية، ينبغي أن يكون في إعادة تشكيل العادات الحركية الحية، بل والعملية، التي تحتاج لمراجعة أساليب توظيف ملكة الانتباه.

عنصر التحليل والرؤى بالنسبة لمن ينادي بالثانية المريحة، والتي تعود على انتشار هذه المفاهيم التي اعتمدتتها السينما تتجنب القلق، وتعفى الذات من المسئولية، فالمؤكد أن السينما الجديدة التونسية في الوطن العربي؟

الحقيقة أن السؤال عن كيفية انتشار السينما التونسية في الوطن العربي، عيبه أنه يفترض أن مثل هذا

حكمت وأنور وحب الوطن

نورا أمين

قبعة على رأس رجل يمر في الخلفية، ثمونجاً فريداً للوطنية في «كشف المستور» الذي ينتهي نهاية تنافس حكمت قهمى»، بعد أن كنا نتوقع عنوانا آخر يبدأ به «الراقصة» بدلاً من «الجاسوسة». ومع أن حكمت مشهورة «الجندى» تمونجاً فريداً آخر لحب بوصفها راقصة أكثر منها جاسوسة، إلا أننا نوافق على اسم الفيلم على اعتبار أن الجاسوسية لحساب الوطن تبرر حكمت من تهمة الرقص (إذا كان تهمة في حد ذاته) إلا أن أسلوب السرد الذى يبدأ به الفيلم ليعبر عن وجود رجل ما مصر»..

بعد أن يبدأ الفيلم بقططات متتالية في التل (نعرف فيما بعد أنه للبطلة بذلة الرقص الشرقي مع إشارة الجاسوس الالمانى إيلر الذى قام بدوره إلى بعض أسماء العواصم الأوروبية فاروق الفيشاوي، وراء البطلة (لنفهم أن الرقص يتم فى أوروبا) يحركها ويؤثر عليها، يعتبر أسلوباً

سانجاً أقرب إلى السرد في الأفلام ولظهور شخصية أنور السادات في القديمة الصامتة، وذلك على مستوى الفيلم رونق خاص، فهو شخصية مؤثرة في الفيلم، ومؤثرة أيضاً في حكمت الصورة السينمائية، ومنطق الأحداث، بل وأيضاً أداء الممثلين المبالغ في تعبيرات الوجه بشكل يحول بين المتفرج وبين أن يصدق الشخصيات أمامه وللدرجة التي يجعله يضحك بسخرية في الوقت الذي يتوقع منه صناع الفيلم أن يندمج ويتأثر فيه.

وللحقيقة فإن نادية الجندي قد برعـت في أداء الرقصات التي امتلاـبها الفيلـم، كما استطاعت أن تقلـد أسلوب الرقص في تلك الفترة، وخاصة في الجزء الأول من الفيلـم، حيث أصبحـت الملابـس والقبعـات التي تهـوى ارتدـاءها مبرـرة إلى حد ما، ومع ذلك علينا أن نعترـف أن عثور نـادية على شخصـية نـسـائية تـجمع بين الرقصـة والوطـنية أو ممارـسة السياسـة في إحدـى صورـها كان بمثـابة «لقـبة» تجعلـها ترقـص وتـغـنى (بـما أن هذه هي هـوية الشـخصـية) وترتـدى ملابـس تـكشف أكثر مما تـستر، في الوقت نفسه الذي تستـطيع فيه أن تعلن عن فيـلمـها على أنه «ملـحـمة سـيـاسـية» ربما تـجعلـ من بطـلـتها شـخصـية وطنـية فعلاًـ، وليس فـتـيـة فـحـسـبــ مجرد تـعرضـها لـقصـة واقـعـية لمـ يتـعرـضـ لها أحدـ من قـبـلـ، خـاصـة إذا كانتـ هذهـ القـصـة تـجمـعـ بينـها وبينـ أنـورـ السـادـاتـ (الـذـي يـقومـ بـدورـهـ أـحمدـ عبدـ العـزيـزـ).



حكمت رميا بالرصاص على يد الإنجليز، حيث يسألها الجنرال حبيبها، المتألم لموتها، للمرة الأخيرة، عن أعوانها أو سبب خيانتها له فتقول: «مصر»، ثم يتركها تتنشق بالشهادة بالإيقاع البطئ، ويعطى إشارة إطلاق الرصاص، قبل أن يظهر فجأةً - وأنور ومعه زملاؤه أو «مصر» بالضبط - أنور ومعه زملاؤه أو «مصر» لإنقاذ حكمت والانطلاق بها!!) حتى لا تموت نجمة الجماهير المنتصرة دائمًا.

هكذا، وبعد أن تفتقن صناع الفيلم في تقديم كافة المقدرات السينمائية في إطار ساذج من السرد السينمائي، ويدعمون وطنية ذات مفهوم فريد، تنتهي ملحمة «الجاسوسة» حكمت فهمي، بتنفس هذا العنوان الذي ظهر في البداية، لكن هذه المرة تكون قد فهمتنا لماذا نرى كلمة «الجاسوسة» بدلاً من «الراقصة» قبل اسم حكمت فهمي، تلك الراقصة الوطنية زميلة كفاح السادات في شبابه، ونموذج المرأة التي تتفرق في تصريحاتها على نبيلة عبيد في كشف المستور الجسدي بسخاء على المتفرجين، وكل ذلك دون حتى أن تموت في النهاية.. فقط أتساءل: ماذا يبقى للبطلة حتى تقدمه في أفلامها المقبلة بعد أن قدمت هنا كل ما يمكن

وأحمد عبد العزيز وبالذات حين تقول له حكمت: أنت متجموز يا أنور؟
أنور: أيوه

حكمت: وبتحب مراتك؟
أنور: أيوه، بس ياريت تكون هي بتحبني قد ما أنا بحبها، عارفة مين مراتي يا حكمت؟.. مصر.

فنرى ملامح التأثر والانفعال على وجه حكمت على طريقة يوسف وهبي، قبل أن نرى نفس هذه الملامح مرة أخرى حينما يفاجئ البوليس الإنجليزي عمامة حكمت وتتساعد أنور على الهروب فتقول له: «مصر محتاجاك أنت يا أنور..» ويضحك الجمهور من جديد، ولكن هذه المرة لأنه يعلم كيف ولماذا احتاجه الوطن فيما بعد!!.

أما الجزء الأخير من الفيلم فيستعرض ألوان التعذيب التي وقعت على حكمت فهمي والتي استلزمت أن تضحي نادية الجندي بالماكياج والملابس المبهرة والشعر المستعار حتى تقدم بصدق بعض اللقطات التي تعذّب الجمهور برؤيتها قبل أى شيء (وهي تتنوع من الشد على جهاز التعذيب، إلى تغطيس الرأس في المياه حتى نقطة الاختناق، وإلى حرق الجلد بماء النار، مع ما يصاحب ذلك بالطبع من ضرب وإهانة) لما فيها من فجاجة، ثم تنتهي أحداث الفيلم بمشهد إعدام

تقديمه وأكثر..!

دفاتر العامية المصرية

للشاعر سمير عبد الباقي

أشرف أبو جليل

مثل حكيم قرية عجوز ، جلس سمير الهمس ومحاجة الذات في هدوء عبد الباقي على مصطبة شعر العامية وشفافية .

ليقول خلامنة تجربته ، وببوج مثل عاشق مهزوم أو فارس عاد من حربه خمسة دواوين شعرية هي (رؤيا الحر الفقير لله النكدي الكفران ابن عبد الباقي ليلة موت الحلواني اللي ببني مصر - شكاوى الفلاح الغشيم عن التمثال المحطم للزعيم السليم - رباعيات ابن عبد الباقي - كتاب الأرجوزات المصرية - مواجع مصر على هوماش دفتر جبرتي العصر) ورغم أنها دواوين متخلصة ومقسمة إلى عدة فوق المنبر القديم فتأخذه حزارة الموقف إلى الصراخ في الجماهير ، أشكال من الأداء الشعري مثل الرباعية والمقطوعة ، والزجل المقفى ، وشعر وتارة يجد نفسه وحيداً فلا يملك إلا لغة

النَّا، تاهَتْ قناديل العشاق فِي لياليِ
الْغَرْبَةِ - لَكُنِيْ قدرتْ أعرَفُ إِنَّ النَّارَ فِي
كَثِيرٍ مِّن الْأَحْيَانِ بِتَكُونْ بَارِدَةً، وَالْعَسْكَرُ
مِنْ دَائِيْمَا حَرَاسِ، وَاللَّى بِيَدِوْسُوا فِي
قَلْبِ الْإِنْسَانِ مِنْ دَائِيْمَا أَنْجَاسِ.

هكذا يبدو عالم الشاعر سمير عبد
الباقي دون يقين يقف عليه، اهتزت
جميع قيمة ووجد نفسه بعد عمر
تجاوز الخمسين ورحلة تجاوزت
الأربعين كتاباً ومشواراً حزبياً طويلاً،
وانتفاء فكريأً أودع بسببه المعتقل
ي يوماً ما، وجد بعد كل هذه الرحلة أن
عليه أن يراجع نفسه ويكتفر بجزء أو
أجزاء من حياته، ويتخلى عنها، بل
أحياناً يعدها نوعاً من الغباء، وعليه أن
يظهر ذاته ويسب عقله، هكذا وضعته
العشر سنوات الأخيرة في مأزق وجود
مدمر، جعلته يشك فيما مضى من
عمره وما أمن به من قيم، وما يحدث
الآن، بل تخطى شكلُ الزمان الراهن
ليرسم صورة سوداء لمستقبل آتٍ تكون
الطامة الكبرى فيه طامة علمية على
البشرية جميعاً، طالما أن العلم مسخرٌ
لخدمة المصالح السياسية.

وهو في بحثه عن أسباب ازمه
الحالية قلق متواتر لا يصل إلى
المتسbeb الحقيقى فيها، فتارة يلتقى
باللهم على من غرروا به وجعلوه بوقاً
لهم يرسم صوراً وردية لهم يوزعها على
الفقراء والجماهير مبشرًا بمستقبل

التفعيلة وأحياناً المزاوجة بين هذه الأشكال، رغم هذا التنوع في الشكل الظاهري للدواوين إلا أن متذوق الشعر سيلحظ أنها تجربة واحدة من الكتابة المفتوحة التي لا تأخذ خبرة محددة ذات حدث معين في زمن معين وإنما تتحدث عن مطلق الهم الإنساني ، فالشاعر فيها في موقف محموم، ففي العشر سنوات الأخيرة شهد - كما شهد أبناء جيله - عالمًا ينهض غير عالمه القديم لا يجدى معه التمسك بالحلم أو المبدأ السياسي والفكري بصورته الجامدة، عالماً أكبر من قيد الأيديولوجيا، تختلط فيه الأوراق ، وتنتقل القيم فيه من المطلق للنطبي ، مما يجعلك تراجع مفاهيمك القديمة عن الديمقراطية ، الاشتراكية، الوحدة العربية، حتى علاقاتك بالناس، الحب ، الكره، الشعر، الثورة، العدو ، الالتزام، الحرية ، فقد فقدت هذه المصطلحات معاناتها القديمة، وأكسبتها العشر سنوات الأخيرة معانى جديدة ربما تصل إلى التفيف من المعانى القديمة لهذه المصطلحات:

شاب الزمن اتفير، الكون اختل ،
وصبع الفقر بيتحسر على أيام المحتل ،
حيات التوت حرمتها الدودع الأطفال ،
الشعر خرج من اهتمامات الشرطة ،
والطفل صبع حلمه يستبدل قمره
الفضة بربم دولار، خمدت رنة أثاث

أجمل بينما واقعهم الفعلى غير ذلك . الحياة .

فهناك الاشتراكيون الإنتهازيون
المتعلمون للسلطة فقط على حساب أى
شيء حتى لو كان بيع قبر لنين فى
أسواق الرأسمالية .

وتارة يلقى الشاعر باللوم على
نفسه وكيف أنها خدعت ب تلك الأوهام ،
وباعت حلمها الحقيقي، وأسكتت لسانها
وصوت ضميرها تحت دعاوى الإلتزام
الحزبي .

وتارة يلقى الشاعر باللوم على
الجماهير وكيف أنها صدق الشعارات
ورضخت للوهم ، ولم تتوقع هذا
الانهيار القادم، وتارة يقف سمير عبد
الباقي صارخاً متمسكاً بحلمه القديم،
ويدافع بقوة عما أمن به من أفكار وأن
العيوب فقط في هذا الواقع الذي نعيش
لافي القيم الإنسانية التي دافع
عنها، ومرة يبحث عن تبرير منطقى
استسلامي غبى مثل تفسير ما حدث
على إنه نوع من القضاء والقدر وأن
الحياة دائمةً متقلبة، يوم ظلم ويوم
عدل، وأن الظلم والعدل لن يتنهيا أبداً
وعلينا أن نتقبل الوضع القائم، وستاتي
الأيام وتغيره، وأحياناً يصل الشاعر
إلى قناعة بأن الخلل الذي أصاب
التجربة هو خلل في التطبيق بينما
تبقى النظرية صحيحة .

إنه يهجر لغة المجاز أحياناً إلى لغة
عادية مارخة، اللهم إلا في بعض الصور
المجازية القليلة، ويزداد تعلقه
بموسيقى الخليل ويطرف في التمسك
بها تارة بالسطور المدوره من مخبون
المتدارك الذي يسرق الشاعر وراء
نفعه الراقص ويحدث أحياناً نوعاً من
الترهل في البناء وتكراراً للمعاني،
وهكذا نرى أنفسنا أمام شاعر
ودائماً يحس الشاعر بالظلم للقول وأنه
محروم لا يقف على يقين في هذه

وتارة يلجاً الشاعر إلى رباعيات أو القديم لشعر العامية وهو الزجل معتمداً على عمود الشعر وزناً وتقافية وتصريعاً والحس الساخر في الزجل وهو ما يتناقض مع السخرية من كل ما يحدث. وهو في زجله لا يجنب كما يجنب غيره من أنصاف الزجالين إلى الكلام المرصوص الساخر وإنما أعاد روح الشعر إلى الزجل، وأعني بها حرارة التجربة واللغة المجازية والموقف الفكري الذي يرقى بالزجل عما غاص فيه من الأحاجن المتأففة التي يتناولها زجالواليوم، وهو يذكرنا بما كتبه الراحل نجيب سرور "سميات نجيب سرور".

يقول الشاعر سمير عبد الباقي:
مخرج خبير ومدير مسرح فاهم، مدرب ، وفلاتسي كان روميو خايب ، ومزبلع ثوري ، وشعبي، وحكاواتي يرطن حسب ما الريح تشطع ينطق . صعيدي، خواجاتي وكل ما يقبض ، ينطفع من كتر دغبه م الآتس ويريد الشاعر أن يكون أكثر عمقاً وأشد تكثيفاً فيلجاً إلى شكل الرباعيات حيث تحمل كل رباعية حكمة وموعظة وخلاصة رأيه في الحياة وتصوره الفلسفي وعمق خبرته، لذلك تلجأ الرباعية إلى الإيجاز في القول والاعتماد على العقل والتجربة في أن

مقاطع مقفاة تفرق في القدم من يث البناء الموسيقي الذي لم يتمدد الشاعر عليه، وإنما أعاد إلى آذاننا شعر الحكمة القديم.

رسوء زواج الشاعر بين الشعر المدور والرباعيات أو اكتفى باحدهما فإن هذه الأشكال مطروحة في شعرنا العربي الفصيح والعامي من قبل.

وقد يستخدم الشاعر لغة السينما ومفردات صناعتها، ففي قصيدة "ال Kapoor" يكتب الشاعر سينا里و شعرياً لمستقبل آتٍ يكون الانتقال فيه من حالة شعرية إلى أخرى عن طريق مفردات السينما مثل (قطع ونهار خارجي- كلوز آب كبير على إيد بتسبّع - قطع ليل داخل مظلم) وهو في استخدامه لهذه المفردات لا يترك اللغة المجازية كلية بل أحياناً يصل إلى منطقة اللا معقول ، فكيف لمخرج سينمائى مثلًا أن ينفذ هذه اللقطة أصوات لها طעם الالمونيوم لما تعفن ميكروفونات الليل . وغيرها من اللقطات العبثية التي قد تكون مواكبة لما يراه الشاعر أتياً في المستقبل من عبث ولا معقول ودمار لكل القيم الانسانية وأولها حق الانسان في العيش الآمن.

ويستخدم سمير عبد الباقي في ديوان "الأرجوزات المعاصرة" الشكل



مثل ميت حى

واحد والاقتراب من العام المشترك بين الناس في التجارب الإنسانية، كذلك

ففى هذه الرباعية استطاع أن يقدم صورة للطبيعة الفاعلة فالشمس تعزف بالآذن ، وتقبّلها النفس وترددها.

وهو لا يلتجأ إلى لغة فلسفية جافة ، والرمال تنشد مع موسيقاهما والأمواج وإنما حتى وهو يقف فى موقف تصهل ، بينما الشاعر يقف متأنلاً فقط الحكيم لا ينسى لغة النجاح فيرسم شمس تعزف، أمواج تصهل، شطوط تجربته المكثفة في عدة صور تنبض بالحياة:

سحاب ورملة بيتشدوا للمنى رسم الصور الجزيئية التي ترسم فى النهاية لوحة كلية تتلقاها بالسمع وبواقي شمس بيعزفوا لل LCSى أمواج بتصهل فوق شطوط مدى حرص الشاعر على الاقتراب من الأزل لغة الشعر.

وانا فى سمعى..

التفكير و .. ببع الكُفر

"أوعه البعيغ" .. عباره كلنا طالما هددنا بها ونحن صغار من آياتنا وأمهاتنا ، وجداتنا بعد أن كبرنا فقد تغير الأوصياء المخوفون .. بالذات ، كلما أقدمنا على شيء فيه خطر أو حظر علينا كصغار وعائذنا وأصررنا وصممنا أو بعض الأقارب .. أصبح الأوصياء علينا ومخوفونا ونحن كبار هم رجال الدين وملوكه ، ومشعوذوه أيضاً .. أما البعيغ فقد يبقى كما هو وتغير اسمه فقط فبدلاً من "بعيغ" أصبح الاسم هو "الكفر" والصيحة لم تعد "أوعه البعيغ" وإنما أصبحت الصيحة هي "هذا كفر" !! فإذا شاهدت التليفزيون أو ذهبت إلى مسرح الصيحة في حد ذاتها وما تحمله من معان الفزع فإنه من الممكن أن تجد من يصبح فيك "هذا كفر" وإذا تبحرت في علم من العلوم .. صاح فيك صالح : "هذا كفر" .. وإذا سمحت لابنك أو زوجتك بارتداء ملابس لا يجعلها ترى البعيغ .. !!

الدنيا سوداء وإنما ملابس متحضره كما تلبس
 كل نساء الأمم المتحضره .. صالح فيك
 هكذا أطفالاً رعادي خوافين كلما صاح فينا
 صائح : "هذا كفر" ارتعدنا دوننا تفكير ودوننا
 سؤال لهذا الصائح عما يعنيه بذلك الصيحة
 وعلى أي أساس قالها ؟ ولماذا ؟ ومن أدراه ؟
 .. جرب صديق أمامي مع أحد هؤلاء المُكفرِين
 للناس "عمال على بطال" عندما وجده يصيح
 صيحة التحذير والتخويف ببعض الكبار :
 "هذا كفر" .. وسألته: يعني إيه كفر ؟
 فإذا بصاحبنا المُكفر يرتبك ويذهب من
 مفاجأة السؤال الذي لم يعتد أن يسأله أحد :
 يعني إيه كفر ؟ .. أعاد صديقى عليه السؤال
 بهجة إصرار على أن يتلقى منه إجابة .. فزاد
 ارتباك أخيتنا ثم انطلق بغضب بعد أن رفع
 صوته: كفر .. ألا تعرف معنى كفر ؟
 - أنا أسألك .. وهل السؤال يزعلك ؟
 (حاول ستر غضبه وعجزه ، والسيطرة على
 زمام نفسه) أنا لست زعلان ، ولكن هو فيه حد
 ما يعرّفه يعني إيه كفر ؟
 وإن كنا لم نسأل عما يكون "البعيغ" في
 صغرنا ولم نستفسر من الكبار عن ماهيته ..
 الإنسان شيئاً ؟ أريد أن أعرف منك أنت لقطاً
 ترددت كثيراً .. لا يد وأنك تعرفه .. فعرفني به ..
 - (قال وهو يحاول إخفاء استيائه) كفر
 يعني كفر يا سيدى يعني عدم إيمان بالله ..
 - وما هو الإشكال في أن يكفر شخص أو
 يؤمّن .. فليؤمن من يؤمن وليكفر من يكفر ..
 - كيف ؟ كيف نقبل كفاراً بيتنا ؟

وسنوات تعليم وقراءة وسفراً .. إلخ ونظر
 كل نساء الأمم المتحضره .. صالح فيك
 الأوصياء : هذا كفر ! وإذا فكرت وسألتني أو
 تساءلت بحرية عن تفاصيل كنه الإله أو يوم
 البعث أو طبيعة الحياة بعد الموت أو طبيعة
 الروح أو أحوال الجنة والنار صالح فيك
 الأوصياء محدثين : هذا كفر .. وإذا
 استشرمت مالك في أحد البنوك حيث الأمان
 بدلاً من حفظها تحت البلاطة .. صالحوا فيك :
 "هذا كفر" !! وإذا أشرت على مريض بإمكان
 إنقاذه من الموت بزرع كلية بدلاً من كلية
 الثالثة .. صالحوا فيك : هذا كفر .. دعه يموت
 .. فالله يريده أن يموت .. أما إذا مرض
 أحدهم فإنه يهرع هرعاً ويشد الرحال إلى أوروبا
 للعلاج هناك خشية الموت .. وعلى أيدي أطباء
 يعدّهم كفاراً !! وكأنه مكتوب علينا أن نعيش
 تحت وصاية الأوصياء طوال حياتنا .. الآباء
 في صغرنا ورجال الدين والمشعوذين في
 كبرنا .. !

هب أنتي كافر .. هل مددت يدي بجيبيك - .. عدنا إلى حيث بدأنا .. أكيف نؤمن
 ذات يوم ؟
 به جميعاً وكيف لا يكون هناك كفار مع
 المؤمنين .. ؟ هل وعد الله بإطفاء النار والغاء
 - كلا ..
 جهنم ؟
 - هل مددت لسانى عليك ذات يوم ؟
 - كلا ..
 - هل ستحاسب أنت عن كفرى أنا يوم لتبقى
 الحساب ؟
 - وكيف تبقى هذه أو تلك بدون نزلاء ..
 إنك تسعى لإلغاء النار بسعيك لجعل الناس
 جميعهم مؤمنين ..
 - هذا عظيم .. وهب أنتي مؤمن وضبطت
 يدي بجيبيك .. فهل ستغفر لي لأنني مؤمن
 وتعتازل لي عما سرقته يدي من جيبيك ؟
 - لا طبعا ..
 - هل إذا طال كفى وجهك بالأذى ستسكت
 لأننى ..
 - أولاً .. هل تعنى بكلامك هذا أن فاعلى
 الشر هم من الكفار فقط بينما المؤمنون
 أعمالهم قاصرة على الخير وحده ١١٢ -
 - لا طبعا ..
 - وهل لو نال منك لسانى وجراحك .. سوف
 تصرت .. لأننى مؤمن ؟
 بشكل عام .. لا يليق سوى بالأطفال .. بل لا
 يليق بأطفال متحضرين .. فالأطفال
 - إذن ماذا ت يريد من كفرى أو إيمانى وماذا
 يخصك من تلك القضية الخاصة بي .. فليكفر
 جمال وكمال .. ويعلمونهم كره الشر لأن الشر
 من يكره .. وليرؤمن من يؤمن .. والفيصل فى
 العاملة وحدها .
 أنا كرجل مؤمن أحب أن أرى كل الناس
 مؤمنين .. وأدعو لذلك كى أحصل على رضا
 الله وحسن جزائه ومن حق الذى خلقنا وأنعم
 علينا أن نؤمن به جميماً .
 غير معلوم لأحد .. فهذا ما يجعل المؤمنين



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanearb.com رابط بديل

أنفسهم يقولون : "هيه .. وقت الله يعين الطمع .. وإنما كحب الجمال والكمال ..
الله" .. ولملك تعرف بأن رابعة العدوية كانت هز رأسه هزة المقتنع ولكن كان واضحاً على
متحضررة في رؤيتها للجنة والنار .. لم تنظر وجهه أنه يعز عليه جداً أن يتخلص من حشو
للجنة نظرة الطعام .. ولم تنظر للنار نظرة يسأل رأسه منذ سنوات .. وطالت عشرتها معاً
الجبان الخراف .. لذا فقد قالت قولتها - هو والحسرو - وأن العشرة لا تهون عليه ..
المتحضررة الرابعة : "اللهم إذا كنت أحبك فلم يهمن عليه أن يقربنا عنده ، ولم تبد عليه
طبعاً في جنتك فاجرمي منها .. وإن كنت نية للإفلات عن هواية أو مرض تحريف
أحبك خشية من نارك فاحرقني بها" أي أنها الكبار.. بـ "بعض الكفر والتکفیر" ... ا
تعب الله حباً غير قائم على التحريف ولا صلاح الدين محبسن

مؤلفون، ووارثون، وناشرون!

صلاح عيسى

المصادفة المحضة هي التي كشفت عن وجود طبعة مشوهة من رواية "أنا حرّة" مختلف عن النص الأصلي الذي كتبه صاحبها "إحسان عبد القدوس" عام ١٩٥٣ .. إذ قام مجهول بحذف بعض الفقرات منها، وإضافة بعض العبارات إليها، ثم ختمها بسطر يشتم فيه البطلة، ويُشطب على الموقف الذي اختاره صاحب الرواية، ويعلن فيه أنهما كانا أسيرين لفهم خاطئ للحرية!

وبعد البحث والتحري، تبين أن الهيئة العامة للكتاب، التي طرحت هذه الطبعة للبيع في الأسواق المصرية ضمن "مشروع القراءة للجميع"، بروتوكول من ذهب هذا التشويه، وأن دورها اقتصر على تصوير إحدى طبعات الرواية الصادرة عن "مكتبة مصر" .. وهي دار النشر التي تحتكر نشر معظمتراث إحسان عبد القدوس - وقيل أن الكاتب الراحل هو الذي قام بتنقية الرواية قبل وفاته، وقيل أن ورثته هم الذين قاموا بذلك ، وقال الورثة أن الناشر قام بهذا التعديل دون استئذناتهم وأنهم سيقاومونه، وقال الناشر أنهم وافقوا على التتعديلات التي أدخلت على الرواية، لتيسير السبيل أمام دخولها بعض الدول العربية، بعد أن اعتبرت "الرقابة" على تداولها في أسواقها بسبب بعض ما ورد بها من مواقف وتشبيهات وأفكارا

أما وقد عرف السبب في التغيير، فقد عرف القائم بهذا التغيير، إذ لاشك أنه مسئول الرقابة بتلك الدولة العربية، ويظل ملف التحقيق مفتوحاً، لتحديد المسؤول الذي وافق على هذا التغيير، هل هو المؤلف نفسه، فيصبح لواقعه دلالتها الخاصة لدى من يدرسون أدبه وحياته وتطور أفكاره، أم هم الورثة فيصبح السؤال هو: هل تمتد حقوق الوراثة لتشمل الحق في تغيير الآراء وأفكار المورث الراحل؟ أم أن الناشر هو الذي فعلها دون علم الطرفين، ف تكون كارثة خاصة أن دار النشر واحدة من أعرق دور النشر المصرية وأكثرها احتراما، وهي تقوم بنشر كتب عدد من كبار الأباء

الجديد والمفزع هذه المرة أن التغيير يحدث بعد وفاة المؤلف، وأنه لا يقتصر على الحذف فقط، بل ويفسّف كذلك، والمشكلة أن الذين فعلوا ذلك قد تواطأوا على اخفائه عن القاريء، فلم يتبهوا إلى أنه يقرأ طبعة منقحة، أو يشيروا في الموسوعات إلى مواطن الحذف ..

والعصيبة هي أن يكون محدث لـ "أنا حرّة" قد حدث لبقية روايات "إحسان عبد القدوس" ، أو أن يكون قد حدث لبقية كتب الأباء الأحياء منهم والأموات من دون علمهم أو علم ورثتهم، بعد أن تحولت صناعة النشر إلى غابة قد تغير بعض الناشرين بالتواطؤ مع بعض الرقباء على تنقية الكتب، من أهل ثلاثين قطعة من الفضة؟

أما العصيبة الأعظم فهو أن يفلق ملف هذه الواقعه من دون مناقشة عميقه تضع تقاليد محترمة للعلاقة بين المؤلف وورثته .. وبين الورثة والناشرين .. وبين الناشرين والقراء ..

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للثقافة

بمناسبة صدور قرار السيد وزير الثقافة رئيس المجلس الأعلى للثقافة رقم (١٧٩) لسنة ١٩٩٤ بشأن اصدار لائحة نظام التفرغ، يسر الإدارة العامة لمنع التفرغ بيان تعلن عن النظام الجديد للتفرغ والذي يشمل مجالات: «الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والترجمة».

ويتضمن نظام التفرغ الشكلين التفرغ لفترة تزيد عن أسبوعين إلا الآتيين:-

(١) الشكل العام وهو: مايعرف الحصول على موافقة مسبقة من جهة العمل للعاملين في الحكومة والقطاع العام. (٢) أن يكون له نشاط ملموس في المجال المتقدم له تجيزه للجان المتخصصة ولم ينقطع عن الإنتاج والمشاركة النشطة. (٣) الالتزام بالضوابط المنفذة لنظام التفرغ والتوفيق تعاقد قانوني مع الإدارة العامة لمنع التفرغ. (٤) يمنع المتفرغ مكافأة مالية لائق عن ٥٠٠ جنيهها شهرياً وذلك طوال فترة التفرغ التي تمدها لجنة التفرغ، حسب اللوائح التنفيذية. تقدم الطلبات شخصياً إلى الإدارة العامة لمنع التفرغ . حتى تاريخ الإعلان ١٩٩٤/٨/١٥، ٤٤شارع المساحة

الشروط الخاصة

يتقدم طالب المنحة بطلب يرفق بالمستندات الآتية: أ- سيرة ذاتية وبيان موثق في مجال طالب المنحة. ب- تصور محدد يتضمن خطة واهضة لمشروع التفرغ ومراحله وأدواته. ج- ثلاثة أعمال من أحدث أعماله الفنية أو الأدبية أو البحثية المنشورة.

الشروط العامة

يشترط في المتقدم لتأيل منحة بالدقى.

مع أطيب تحيات

الإدارة العامة لمنع التفرغ.

مدير عام الإدارة العامة للتفرغ

أ. نادية عزيز

التفرغ مaily:-

(١) التمتع بالجنسية المصرية.

(٢) أن يكون مقيناً في جمهورية مصر العربية ولا يغادرها طوال فترة

لأدب ورسوم كتاب الأطفال

١٩٩٤

كتاب بائزة أهابت كتاب للأطفال صدر في مصر عام ١٩٩٤ وذلك من دائمة التاليف والرسوم والأذاعات المطبوعة (جميع الناشرين المصريين) صدر عن دار لاشراك في المطبعة بدار الكتب التي تنشرها للغرض بهذه الجائزة الكبرى إلى مركز توزيع وعمورت أدب الأطفال.

كتاب جوانب السيرة، سوزان مبارك لكتاب درامي كتب للأطفال من الكتاب

- ٠ مفاجأة في سيناء أو الوارد الجديداً كبرى ناصر (لسن من ١٥ - ٩)
- ٠ كتاب شلوون تحترف على ملائكة من أهل آنا وسراويلها الطبيعية أول العادات والتقاليد السنية (لسن ما قبل الدراسة)

(ب) في مجال الرسم

- ٠ كتاب محبم سوري على شكل بسيط من البيئة وقصة بسيطة مناسبة للشكل المعجم (لسن ما قبل الدراسة)
- ٠ حملت ملابس ابن من الرسامين أن يتحقق في أولئك سبب إلى مركز متمن وتحت أدب الأطفال بالرواية بالسلام التعرض للأدبية الفائزة والاشتراك في مسابقة سهم النصوص الفائزة.

المرتبة بالنسبة لمؤلف كتاب الأطفال

- ١- ينتهز أن يكون العمل المقدم للاشتراك في المسابقة لم يحصل على أي مرتقب من صفي الترشيشية أو المساعدة أو المساعدة
- ٢- تقسم الأقسام المشاركة من ناحية نوع مكتسبة على التالية الكافية إلى مركز توزيع وعمورت أدب الأطفال التابع للهيئة العامة للكتاب ١٥ ميليات المالك - بارقونه ورذلك في موعد أقصاه أول سبتمبر ١٩٩٤
- ٣- يتم منح جائزة مقدمة في فضيحة من فروع المسابقة

(ج) في الرسم

التأليف الرسم

- | | | | |
|---------------------|-----|--------------------|-----|
| المائة الأولى ١٥٠٠ | منه | المائة الأولى ١٥٠٠ | منه |
| المائة الثانية ٧٥٠٠ | منه | المائة الثانية ٧٥٠ | منه |
| المائة الثالثة ٥٠٠٠ | منه | المائة الثالثة ٥٠٠ | منه |
- رسوم تخلي الملايين من صرف القاهرة الرولت لكتاب الأطفال المولود

